الفصل الثالث والستون

الأضرحة المنورة لسلاطين السلف والعلماء والمشايخ والقضاة وكبار أولياء الله والصحابة الكرام والأئمة المجتهدين فى قرافات مصر

فى الجانب الشرقى من مدينة القاهرة جبل يسمى «المقطم» لما كان هذا الجبل موضع تعبد سيدنا موسى وهارون والمسيح ـ عليهم السلام ـ فقد وردت فى شأنه أحاديث صحيحة عن النبى ﷺ وقد رغب أمته فى فتح مصر.

وبعد الفتح فى عهد عمرو بن العاص رضى الله عنه دفن ١٧٠٠٠ صحابى جليل فى ظل هذا الجبل والآن يسمى العوام هذا الجبل «جبل الجوشى».

وعندما تبزغ الشمس فى الآفاق يمتد ظل هذا الجبل على مدينة الفسطاط أى مصر العتيقة على ضفة نهر النيل. وقد دفن فى ظل جبل المقطم هذا الكثير من أمة المصطفى ﷺ الذين وعدوا بالجنة وقد ورد عدد من الأحاديث الصحيحة فى هذا الصدد.

ـ سبب تسمية جبل المقطم بهذا الاسم:

ولفظ «المقطم» مأخوذ من «القطم» وهو القطع فسمى هذا الجبل بالمقطم لما كان منقطع الشجر والنباتات.

وجاء فى رواية أخرى أن أحد أبناء سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ كان يسمى «المقطم» سكن هذا الجبل فسمى باسمه. إنه جبل تغمره الأنوار وكل كهف فيه مفعم بالنور بفضل أولياء الله.

ذكر أضرحة أولياء الله والمشايخ والصلحاء الكائنة فى جبل المقطم والتى زرتها أثناء تطوافى فى مصر

فاتح مصر أبو عبد الله عمرو بن العاص بن هشام بن سُعَيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر رضى الله عنه وقد بشره ﷺ بفتح مصر وقد توفى عام ( )[1] بعد أن فتح مصر ودفن فى سفح جبل المقطم.

(١) بياض بالأصل، وقد اختلف فى تاريخ وفاة سيدنا عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ والذى عليه المحققون أنه مات سنة ثلاث وأربعين. انظر: الإصابة (٣/٥).

ضريح «أبى نصرة الغفارى» من الصحابة الكرام، تلقى الإجازة من سيدنا على ـ كرم الله وجهه ـ بين يدى النبى ﷺ ، وهو أول من صنع الإكاف وتنتهى به سلالة صانعى الإكاف، عمر أبو نصرة الغفارى هذا مائة وسبعين عاما وقد هبط مصر مع السيدة نفيسة رضوان الله عليها وتوفى فيها وقبره بجوار قبر عمرو بن العاص. إنه أحد صحابة رسول الله ﷺ ولكن وقع الخلاف فى اسمه فهو عند البعض «حميل»، وقال البعض الآخر إن اسمه «ارعره» إلا أنه اشتهر بأبى نصرة الغفارى رحمه الله.

ضريح عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى[1] صاحب رسول الله ﷺ ، وإن زيارته لأمر عظيم.

سيدنا «يامن» ابن سيدنا يعقوب وأفرايم ابن سيدنا يوسف الذى ولد فى الفيوم وسيدنا صارم بن يهوذا ابن سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ.

وجاء فى بعض التواريخ أن الصحف أنزلت عليه وأصبح نبيا.

وقبر أمنا هاجر ـ رضى الله عنها ـ وقبر الملك الريان وقبر الحسناء زليخا، وقبر عزيز مصر، كل هذه القبور تقع فى سفح جبل المقطم تحت قبة سيدنا ابن يامن ـ رضى الله عنه ـ، ويزورها خواص الناس وعوامهم.

وقبر عبد الله بن سلامة السلمى وهو من صحابة رسول الله ﷺ ، ومزار مسجد سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ على جبل المقطم وقد سكن هذا المكان سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ مع أمه السيدة مريم وهذا الموضع يزوره جميع النصارى كل عام. وقد رمم ابن طولون هذا المسجد وضريح ابن يامن أخى يوسف الصديق عليه السلام، والآن كل هذه الأبنية تحمل تاريخ ابن طولون.

«تنور فرعون» فوق جبل المقطم تبدو آثاره للعيان إلى يومنا هذا، وفى عهد القبط كانوا يزورونه ويعظمونه. وعلى مقربة منه وادى المستضعفين ووادى الملك ووادى الليلا ووادى الدجلة وهى وديان تقع جميعا فوق المقطم والمسافة بين هذه الوديان وعين

(١) الإصابة (٤/ ٥٠ ـ ٥١).

موسى مسيرة ست ساعات يتصيد فيها أهالى مصر الظباء والأرانب وهى أماكن نزهة.

«مزار مسجد سيدنا هارون» أخى موسى عليه السلام، أنشأ هذه الزاوية فيما كان وزيرا لموسى، وقد عمرها ملوك السلف، وهى عامرة إلى يومنا هذا وتزار. وعلى عتبتها العالية تاريخها ونصه «أمر بإنشاء هذه الزاوية المباركة وزير ابن جعفر بن العراب».

«مسجد سيدنا الزبير ومسجد الصخرة»: زاوية عظيمة فى غار منحوت فى الصخر إلا أنها لا تحمل أى تاريخ.

مسجد الديلمى، وهو زاوية عتيقة بنيت على الطراز القديم. مسجد الشريف الجرجانى. وكل هذه الزوايا زوايا معمورة فى سفح جبل الجوشى.

ومسجد «المعروف» وهو معجزة سيدنا موسى عليه السلام، لا وجود لمسجد مثله بناه إنسان. إنه معجزة حقا وهو فى سفح جبل الجوشى وهو أحد زوايا القاهرة التى تحير الألباب.

ومسجد محمود وهو دار قديمة للعبادة، ومسجد الولوه وهو يحمل تاريخ ترميمه عام (٤١٦)، وقبر شقيق الراعى، وقبر سيد الراعى، وكانا أخوين من صحابة رسول الله الكرام وكانا يرعيان الغنم التى اغتنماها عند فتح مصر وبينما كانا يرعيان غنمهما وافاهما الأجل فى ليلة القدر، وصلى عمرو بن العاص عليهما صلاة الجنازة ودفنا بجانب مسجد «الولوه» والآن فى كل عام فى ليلة القدر يغمر النور ضريحهما عليهما رحمة الله.

وعلى حد قول الشيخ القعقاعى إن مسجد ولوه ومسجد محمود مسجدان قديمان يستجاب فيهما دعوة الداعى وفيهما روحانية عجيبة ولا ينقطع عنهما المتصوفة وأهل التقوى والصلاح.

وقبر عبد الله بن الحارث الصحابى الجليل، وكانت وفاته بعد أن بلغ المائتين من سنيه وقد دفن فى أطراف جبل المقطم، وقبر عبد الله بن حذافة السهمى بجوار ضريح «هاجر الحبشية» وتوفى فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه. وقبر أمير الروم عبد الله بن

obeikandl.com

حذافة (مات فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه)

ـ ضريح الشيخ عقبة بن عامر الجهنى ـ رضى الله عنه ـ:

وكنيته «أبو حاملة» وعند البعض أنه «أبو سيد» وعند البعض «أبو عمر» وعند البعض الآخر «عامر»، استشهد فى فتح مصر عام (٥٨) وكان عالما بالفرائض، فقيها، شاعرا، صاحب فصاحة وإبانة، وما خطه بيده من كلام الله العزيز بأمر الخليفة عثمان ـ رضى الله عنه ـ مازال محفوظا بجامع عمرو بن العاص.

وقبره فى القرافة الكبرى فى ظل جبل المقطم، وقد تخرب ضريحه على مر الأيام.

وفى عام ١٠٦٦ رأى كل من أبى النور خاصكى محمد باشا سلاحدار السلطان محمد الرابع ووالىه على مصر، وإمامه نوح افندى فى المنام الشيخ عقبة يقول لهما: ارفعا عنى تراب المذلة هذا وعمرا قبرى عمر الله لكما الملك.

فهب محمد باشا وأمامه نوح افندى من نومهما وقص كل منهما على الآخر ما رآه فى منامه، وشرعا يُعمران فى التو ضريحه، فأقاما على ضريحه جامعا عاليا وتكية ومبرة وسبيلا وساقية ومكتبا للصبيان وحوضا ومنازل لخدام هذا الجامع وخمسين غرفة للدراويش، كما أحاطا كل ذلك بسور حجرى كأنه سور القلعة؛ فأصبح ضريح الشيخ عقبة وكأنه سد متين وحصن حصين، ويوزع منه الطعام على الغادى والرائح من السابلة.

كما خصصا له أوقافا كثيرة، ولأن ثلثى هذه الأوقاف لأغا الإنكشارية فهى أوقاف عظيمة العمران. ولقد أُنشِأت قبة جميلة فوق ضريح الشيخ عقبة، وكأنها قبة الفلك، وهى قبة من حجر إلا أنها غير مكسوة بالرصاص ويهبط إليها بسلم من درجتين فى الجانب الأيمن من الجامع، ويتوسط هذه القبة تابوت مغطى بالحرير الأخضر المزركش دفن بداخله الشيخ عقبة، إنه ضريح مزين يعلوه شمعدانات من فضة وثريات من ذهب.

وفوق رأس الشيخ عقبة عمود من الرخام الأبيض كتب عليه بماء الذهب واللازورد ما نصه:

(هذا مقام العارف بالله تعالى الشيخ عقبة بن عامر الجهنى من أصحاب رسول

الله ﷺ - رضى الله عنه -. جدد هذا المكان المبارك الوزير محمد باشا سلحدار السلطان محمد الرابع دام بقاه فى سنة ست وستين وألف).

وعلى جدران قبلة هذا الضريح المنور كتب بالخط الكوفى على حجر أبيض قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨].

لكم هى خيرات عظيمة.

مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها:

دفنت فى حى منفصل بجنوب القاهرة، إنها مبرة عظيمة وخير عميم، ولها جامع وضريح يغمره النور دفن فيه سائر خلفاء بنى العباس رحمة الله عليهم أجمعين. وعلى عتبة القبة العالية لهذا الضريح كتب بخط جلى بالسليو واللازورد ما نصه:

(هذا مشهد الحسنية للسيدة نفيسة . بسم الله الرحمن الرحيم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت إنه حميد مجيد (وقوله عز من قائل): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] (احتوى هذا المكان على جامع خطبة المسلمين ومشهد السيدة الحسنية البضعة النبوية ابنة السيد الحسن ابن آل زيد ابن السيد الحسن ابن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليهم أجمعين، مولدها سنة خمسة وأربعون ومائة وقدمت مصر سنة ثلاثة وأربعين بعد المائة وقد انتقلت إلى رحمة الله تعالى فى شهر رمضان المعظم سنة ثمان وثلاثين ومائتين فى أيام مولانا السلطان الملك المنصور أبى النصر عبد العزيز أعز الله أنصاره).

وعلاوة على هذا التاريخ ثمة تاريخ آخر كتب بخط جلى باللازورد على ألواح مقاصير الجامع وهو:

(أمر بإنشاء هذا المكان المبارك مولانا المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز أعمر الله به بتاريخ شهر جمادى الأول سنة ست وثمانين ومائة).

والنزول إلى ضريحها الشريف من خلال سلم حجرى من ثلاث درجات، وباب ضريحها باب عال مطلى بالذهب ومزين بالجوهر، وتابوتها مغطى بغطاء من الحرير الأخضر المزركش، وعندما يدخل الزوار المسلمون هذا الضريح يجدونها مدفونة فى

تابوت مربع ذى زخارف يتوسط الضريح، وإذا ما وقعت عليه عين إنسان علت جسمه رعدة، وما اجترأ على النظر إليه فهى العرق الطاهر من سلالة النبى ﷺ .

وزوجها إسحاق بن جعفر الصادق وحول تابوتها مئات القطع من الأوانى والشمعدانات والمباخر والقناديل النفيسة المزدانة بكلمات الله؛ بالإضافة إلى ما لا يدخل تحت حصر من الثريات مما يجعل قبرها وكأنه متحف الصين، وهو مفروش بالبسط الحريرية النفيسة التى طالما كان يهديها ملوك السلف ووزراؤهم ووكلاؤهم تبركا، ويتلو القراء الختم الشريف مرة فى كل وقت من الأوقات الخمس. وداخل الضريح يفغم عبير العود والعنبر وجل زوارها من النساء يقدمن لها النذور فى كل مرة يأتين فيها إلى الضريح.

كما دفن مع السيدة نفيسة ولدان من أبنائها هما القاسم والطيب، ولقد قالت لهما وهى فى النزع الأخير: أتئتيان معى إلى الدار الآخرة؟ فقال الطفلان الصغيران: نعم يا أماه نأتى فقالت لهما: اذهبا وسلما أمانتكما وعندئذ فاضت روحهما وامتثلا إلى قوله تعالى ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر:٢٨]، والناس يزورونها ليل نهار ولا ينقطعون عن زيارتها قط، يقام مولدها مرة فى العام فى الليلة الثالثة من شهر ربيع الأول فيتوافد على ضريحها مئات الآلاف.

وثمة قبة أخرى على الجانب القبلى للضريح المنورة للسيدة نفيسة وهذه القبة هى مثوى لأبناء السيدة نفيسة الكرام وخلفاء السلف من بنى العباس وهم:

ـ سيد يحيى بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين:

يقول القعقاعى عنه: إنه أخو السيدة نفيسة، وهو مدفون فى هذا الضريح، وقد كتب بخط جلى على جوانب تابوت من الرخام: (قبر أشراف الحجاز سيد قاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل واسمه إسماعيل الديباج بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ.

ـ قبر أبى محمد يحيى بن قاسم بن محمد العلى بن الحسن بن على بن أبى طالب:

قال الكِنْدِى: «قدم راس زيد بن على فى جمادى الآخر سنة اثنين وعشرين ومائتين».

- مشهد رأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على - كرم الله وجهه -:

دفن هذا الرأس تحت قبة عالية أمام محراب جامع «النبر» سنة خمس وأربعين ومائة، ويزوره الخواص والعوام ويحمل هذا المشهد تاريخا هو:

(أقام هذا البناء العلامة رضى الله عنه)

- مشهد رأس محمد بن أبى بكر رضى الله عنهما:

جاء فى رواية أن محمد الأكبر هذا ولى مصر فى خلافة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وبسبب ما كتبه «مروان الحمار» كاتب عثمان خلافا للأمر قتل محمد الأكبر فى مصر مما كان سببا فى مقتل عثمان رضى الله عنه. ومشهد محمد الأكبر هذا يقع فى رملة خارج الجانب الغربى للقاهرة وقد تخرب وعلى الرغم من أن الناس كافة يعلمونه إلا أنه لا يزار كثيراً، والتاريخ المكتوب على بابه هو: (بناء علامة العصر).

- مشهد السلطان الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين بن على بن أبى طالب - رضى الله عنه -:

يقع هذا المشهد على مقربة من مشهد محمد الأكبر وهو بناء عظيم كأنه القلعة شيده المستكفى بالله من بنى العباس على رملة، إنه بناء عظيم يضم غرفا للبوابين وحراس القبور ومشايخها. وفى غرة كل شهر يقام مولد عظيم فتغص أركان هذا الضريح بما يربو على الأربعين ألف من الناس. إنه قطب عظيم وهو مدفون فى قبر عال تناطح قبته الفلك. ويحيط بالضريح أعمدة من الرخام تحمل مبنى عظيما وإلى جانب الجهة القبلية للقبر الشريف زاوية ذات قبة عظيمة. وعلى أطراف الحرم مصاطب جانبية عليها أعمدة عالية من الرخام تحمل سقفا ذا زخارف. ويتوسط الحرم عدة نخلات وشجرة نبق عظيمة وعلى الجوانب الأربعة لباب الحرم حجر سماقى أخضر مصقول، ومصراع الباب من قطعة واحدة من السماقى الأخضر لا وجود لمثله فى بلد آخر. إنه باب عال من قطعة واحدة وعتبته عالية وله شهرة واسعة لدى رحالة العالم.

وباب الضريح هذا يطل على الجهة الشمالية وعلى عتبته العالية ألواح تحمل تاريخا نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا مشهد الإمام على بن زين العابدين ابن الإمام الحسن ابن الإمام علي بن أبى طالب بن عبد المطلب ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ سنة إحدى وعشرين ومائة بعد الهجرة النبوية).

وهذا التاريخ كذلك منقوش بخط كوفى على الرخام الأبيض للتابوت الشريف.

ومن عجب أنى فى عام ١٠٥٦ حينما وصلت إلى بغداد زرت( )[1] زين العابدين وهو كذلك ضريح عظيم، وبعد ذلك فى عام ١٠٨٢ بلغت البقيع بالمدينة المنورة بعد أداء مناسك الحج وزرت الإمام زين العابدين بجوار سيدنا العباس ـ رضى الله عنه ـ والضريح المدفون فيه جثمانه الشريف حير ألبابنا وتلا كل منا سورة «يس» على روحه الشريفة، واستمد البركة من روحانيته تقبل الله دعاءنا آمين.

وفى مصر أم الدنيا آلاف من أرواح الأنبياء والأولياء وصحابة رسول الله ﷺ ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ إلا أننى سوف أذكرهم حسب زيارتى لأضرحتهم:

ـ مزار يشكر ـ رضى الله عنه ـ:

كان من أهل التقوى والصلاح وهو مدفون فى حرم جامع أحمد بن طولون فى جبل يشكر، وهو موضع عبادة ومزار عتيق.

ـ ضريح الشيخ العلامة الزاهد أبى محمد عبد الله بن وهب بن مسلم:

صاحب مالك بن أنس وضريحه يقع خارج باب الصفا فى الجهة اليمنى على بعد مائة قدم من الباب الجديد فى الجهة القبلية. إنه عالم عظيم من العلماء الأئمة أخذ العلم على مالك بن أنس وابن أبى ذؤيب وحيوة بن شريح والليث بن سعد ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ.

(١) بياض بالأصل. لعله فى هذا الموضع توجد كلمة ضريح.

- ضريح القاضى بكار رضى الله عنه:

إنه ابن قتيبة بن أسد بن عبد الله بن بشير بن أبى بكر بن الحارث مولى رسول الله ﷺ، ولى القضاء فى مصر وكان محدثا جليلاً دفن فى ( )[1].

- ضريح الشيخ جزعل:

وهو من العلماء المتبحرين.

- ضريح الشيخ آتى:

كان أهل تقوى وصلاح، محبوبا بين الناس، رحمة الله عليه.

- ضريح الخير بن نعيم بن مرة:

وكنيته أبو إسماعيل وكان من فضلاء المحدثين.

- ضريح فاطمة بنت عبد الحميد بن عمر بن حمزة:

توفيت رحمة الله عليها عام تسعة وسبعين ومائة.

- ضريح طباطبا أبى محمد عبد الله بن أحمد بن على بن الحسن بن إبراهيم بن الحسن بن على بن أبى طالب - رحمة الله عليه -، بالقرب من السيدة نفيسة وعلى مقربة منه قبر فرج وهو عبد الشريف طباطبا وقد توفى قبل طباطبا.

- قبر الأربعين:

وعلى حجر تابوته كتب بخط جلى : (يحيى بن بكير هو صاحب الموطأ).

- قبر نفالة عبد الرحمن:

من أبناء سيدنا عثمان - رضى الله عنه - فقد تزوج عثمان من أم كلثوم ابنة المصطفى ﷺ فولدت له نفالة هذا وهو مدفون بجانب السيدة نفيسة.

وقبر عبد الله بن رواحة وقبور أشراف مكة كلها فى ساحة جامع «الست» على مقربة من السيدة نفيسة.

---

(١) بياض بالأصل.

obeikandl.com

وقبر أبى الجيش على بن أحمد بن طولون ومولده سنة ثلاث وعشرين ومائتين واستشهد ـ رحمه الله ـ فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وهو مدفون فى قبر عال فى رملة بجوار «محمد الأكبر» بن أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ.

وقبور الشريف الجارودى والبكرى والمقرى، وهؤلاء كانوا من الوعاظ ذوى الشأن فى موضع واحد. وعلى مقربة منهم قبر «صغير الكاتب» وهو مزار عظيم.

وقبر الشريفة فاطمة ابنة محمد بن عيسى بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ، وهو مزار لعوام الناس وخواصهم ولوقوعه على الطريق العام لا يخلو من الزوار قط ولا ينقطع النساء عن زيارته البتة.

والشيخ «الجامى» قدس سره مدفون فى قبة فى صحراء قايتباى، والشيخ «أبو بكر الأدفوى» وهو من أجلة العلماء وشيوخ القراء، وقبره على مقربة من مشهد الحسين، والشيخ الفقيه «أبو القاسم عبد الرحمن ابن الشيخ أبى بكر الأدفوى» من العلماء المحدثين، وكتب على قبره الشريف: (توفى الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن فى شهر ذى القعدة سنة سبع وعشرين وأربعمائة) وهو مدفون فى طرف قبر أبيه وقبرهما معروف لدى الناس بقبر الجولانيين.

والشيخ الإمام أبو إسحاق بن إبراهيم بن سعيد الجبال الحافظ ـ رحمه الله ـ مدفون فى سفح جبل المقطم، والشيخ أبو الحسن بن الرفا المصلى مدفون مع أبنائه على مقربة من الجامع العتيق وقبره يزار.

والسيد محمد بن إبراهيم بن محمد ابن الإمام بكر بن زين العابدين ابن الإمام الحسين، مدفون بالقرب من السيدة نفيسة.

وضريح السيدة «زينب بنت يحيى بن الحسن بن على بن أبى طالب» ضريح عال بالقرب من قنطرة السبوع على طريق مدينة بولاق غرب القاهرة، والكثرة الكاثرة من زوارها نساء وعلى باب جامعها تاريخ مرقوم وهو تاريخ وفاتها، إلا أنه كان شديد الارتفاع فتعذر على قراءته ولذلك لم أذكره.

أما المشهد المعروف «بالست آسيا» ابنة مـزاحم بن الرضا بن سهسون بن خاقان وكيل ابن طولون أسفل قلـعة صلاح الدين بالقاهرة وتزوره النساء وزيـارتهن فى يوم الأربعاء حيث تجتمع فيه منهن حشود.

وبالقرب من مـقام الست آسيا هذا قبر الـشيخ أبى الحسن مالك بن سـعد بن مالك الفاروقى قدس سره، وقبر ميمونة العابدة أخـت رابعة فى العبادة مدفونان فى ظل جبل المقطم، وقبر أشهـب صاحب مالك بن أنس بالقرب من السيدة «أمـينة»، وضريح هند بنت عبد الرحمن بن عوف والزهرى وهو ضريح عـظيم يقع على طريق الإمام الشافعى وأكثر من يزوره النساء.

وقبر الشيـخ محمد بن عبد الله بن عـبد الحكم ـ الذى كان كاتب الســلطان ـ على مقربة من بركة الحبش، وكانت وفاته عام ٢١٤، وأبو عبد الله محمد بن عبد الحكم ابن أعين كان قاضى مصر وتوفى عام ٢٦٨ ودفن فى سفح جبل الجوشى.

وضريح السيدة الزاهدة العابدة فاطمة بنت جعـفر الصادق فى الجهة القبلية لقايتباى، و «بشرك بن سعد الجـوهرى» جد أولاد الجوهرى ومحمد بن إسماعـيل المقرى المعروف بالحداد صاحب القراء والمحدثين مدفونان فى القرافة الكبرى.

وقبر الشيخ أبى بكر الدقاق أحمد بن المنصور فى سفح جبل المقطم.

وقبر القاضى عبد الوهاب بن على بن نـصر البغدادى المالكى وقبر الإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد صاحب الرواية، تولى القضاء فى عهد عبد الحكم بن محمد الأنصارى و «توفـى عام ١٩٧» وهذا ما كـتب على تـابوته فى الـقرافة الكـبرى ـ ضريح كـافور الإخشيدى المملوك الأسود الحبشى مولى الإخشـيد فى القرافة الكبرى، وقبر الوزير أبى لفضل جعفر الفـرات وزير كافور الإخشيدى فى مصر وأبوه المقتدر بـالله، والشيخ أبو لحسن الوراق السالم من كل الشبهات بجوار قبر الإخشيدى.

وقبر الشيخ أبى الحسن على بن محمد بن سهيل الدينورى المتوفى عام ٣٣١ بالقرب من أبى الليث.

وقبر الشيخ الفقيه أبى عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن خالد رضى الله عنه المتوفى عام ١٩١ بالقرب من القاضى بكار.

«قبر أبى بكر الإصطبلى قدس سره، وصالح المبتلى المتوفى ام ٥٤٠»، ووزير مصر والشام «المتوفى عام ٥٩٦» مدفون فى ضريح عظيم على مقربة من ابن يامن وهذا ما كتب على أطراف تابوته الرخامى المربع: (ولم يَأتِ وزير عظيم مثله فى عهود ملوك وسلاطين السلف).

وقبر الفقيه مجلى أبو المعالى لم يأت مؤرخ مثله منذ عهد إدريس ـ عليه السلام ـ، حتى إن «حمزة نامه» أحد المؤلفات التى جاد بها قلمه. وقبره الآن يزار، وإذا ما نسى إنسان شيئا مضى إلى قبره وأكل ما أكل فى يومه سبع حبات من العنب الأسود طيلة أيامه كان له عقل أرسطو وأصبح أبا الكلام. وقد توفى عام ٥٥١ ودفن بالقرب من الإمام الشافعى مع سيدى محمد البوصيرى صاحب قصيدة «البُرْدَة».

وقبر جُحَا وكان من حمقى العرب مثل «نصر الدين خوجة» وهو مدفون مع أبى المعالى فى مكان واحد. والشيخ غنايم الشامى وقد ذكرت كراماته الباهرة فى طبقات الشعراوى، وهو مدفون فى قرافة المجاورين.

وأحمد بن طولون المتوفى عام ٢٧١ مدفون فى مدينة الفسطاط وهى مصر القديمة إلى جانب عفان أبى سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ، وعلى أطراف تابوته تواريخ مكتوبة بخطوط مختلفة. والدعاء مستجاب عند قبره.

ومشهد زوجة سيدنا أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أم محمد الأكبر بن أبى بكر. واسمها «أسماء بنت عميس الخثعمية». كان قد تزوجها جعفر بن أبى طالب المعروف بجعفر الطيار فولدت له عبد الله وعونا ومحمدا، ثم تزوجها سيدنا أبو بكر الصديق بعد قتل جعفر الطيار فولدت له محمد بن أبى بكر، ثم تزوجها بعده سيدنا على بن أبى طالب (رضى الله عنه).

وعندما تزوجت أسماء من سيدنا على صار محمد ابنًا لزوجته. حتى إنه قد جاء فى أحد التواريخ أن محمد بن أبى بكر قاتل بجانب سيدنا على فى موقعة «صفين» أسفل قلعة «جعبر» على ضفة نهر الفرات.

ولما كان فى الجانب المقابل السيدة عائشة بنت الصديق وهى أخت محمد بن أبى بكر بذل كل وسعه فى إصلاح ذات البين ولكن عبثا ونشبت حرب ضروس.

ولا يخفى على إخوان الصفا وخلان الوفا أن الجوانب الأربعة لمصر القاهرة أى الفسطاط وهى مصر القديمة، ومدينة بولاق وما يقرب من الإمام الشافعى ومصيف قايتباى فيها اثنتا عشرة قرافة دفن فى وادى سكونها مئات الألوف من أبناء الأنبياء، وربما الأنبياء وكبار الأولياء والأئمة والصحابة الكرام وملوك السلف.

إلا أنه بتعاقب الأيام منذ هبوط آدم ـ عليه السلام ـ ومنذ طوفان نوح ـ عليه السلام ـ وهو آدم الثانى تعرضت أم الدنيا للعديد من الحوادث فأصبحت حينا عروسا فى شرخ شبابها وفى حين آخر أصبحت خرابا يبابا، وكم من مقابر للأنبياء ومشاهد لأولياء انهدمت وانمحت آثارها.

إلا أنه منذ دخولها فى حوزة الإسلام أصبحت عروسا من جديد وعمرت. ولقد مسحت وجهى على أعتاب تلك الأضرحة وكنت أقرأ على أرواح أبناء الأنبياء وكبار الأولياء الطاهرة سورة يس أو الفاتحة على الأقل، وقد وقعت الهيبة والخشوع فى نفسى عند زيارتها. وقد قرأت كلام الله العزيز الذى تمس إليه حاجة أرواح جميع الموتى واستمددت العون والروحانية منهم، وما زرته من تلك الأضرحة أذكره قدس الله سرهم ونفعنا بسرهم.

وفى الساعة التى دخلت فيها مصر عائدا من الحج للمرة الأولى خرجت من قصر القاهرة وتقدمت جنوبا سيرا على الأقدام وسط المقابر ألفى قدم فى طريق رملى وفى منتصف قصبة واجهت:

مشهد شيخ الشيوخ، الإمام الهمام، العالم العلامة، منهاج السالكين ومطلوب الطالبين الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ.

حمدت الله أنى مسحت وجهى على عتبته ودخلت ضريحه وختمت القرآن الذى كنت قد نذرته ووهبت ثواب ذلك لروحه الشريفة، وتصدقت على الفقراء وسألت الله القبول.

والإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ مدفون فى قبر ترتفع قبته إلى عنان السماء وهى قبة حجرية زرقاء الداخل، وداخلها مكسو بصنوف من الأحجار القيمة. وهى مزدانة من الداخل كذلك بالعديد من الثريات والقناديل النفيسة، وقد كتب فيها بخطه كثير من الرحالة الصوفية، وقد كتبت أنا على لوح مذهب الفاتحة. وهذه القبة مزينة إلى ذروتها بشتى التحف والبللور والزجاج الفاخر.

وفى الجهة القبلية من هذا الضريح محراب بديع الصنع مذهب ومزدان بالصدف وكأنه السحر الحلال ومفروش بالبسط الحريرية.

وهذه القبة المالية مكسوة بالرصاص. إلا أنه لا يشبه رصاصنا التركى الذى يبلغ طول اللوح منه ثلاثة أذرع. إنها رقائق من الرصاص يضرب لونها إلى الصفرة، ويقال إن بها ذهبا. وعلم هذه القبة من النحاس الأخضر، ويعلو هذا العلم قارب من النحاس الأخضر ويملأ خدام الضريح هذا القارب على الدوام بالقمح والشعير، وتحط الطيور لالتقاط الحب وفى الجوانب الأربعة للقبة شبابيك من النحاس. وقد دفن خارج الضريح مئات الآلاف من العلماء والصلحاء والأئمة والخطباء ومشايخ السادات والوزراء والوكلاء وكبار الأعيان، ولا يعرف عددهم إلا علام الغيوب.

وبما أنها مقبرة عظيمة من أولها إلى آخرها يوصى كل شخص بأن يدفن فيها وبنى له ضريحا هناك.

والإمام الشافعى مدفون فى تابوت فى الجهة الشمالية لنوافذ الضريح، وهذا التابوت مغطى بحرير مزركش أخضر، وأركانه الأربعة مزينة بكرات من الفضة الخالصة.

ويحيط بالتابوت سياج من خشب «الصبا» وذلك لمنع العوام من تقبيل تابوته وما يترتب على ذلك من تأذى روحه.

وعند قدم هذا التابوت وعند رأسه شمعدانات ذهبية فى طول قامة الإنسان، وفى كل منها شمع كافورى. وزين التابوت بأعلام مختلفة الألوان، وعند رأسه الشريف عمود اسطوانى الشكل من الرخام الأبيض، طوله طول قامتى إنسان. كتب على هذا العمود بخط الثلث المذهب على خلفية لازوردية ما نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم). ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٩، ٤١] هذا قبر السيد الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد زيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف جد النبى ﷺ. ولد ـ رضى الله عنه ـ فى سنة خمسين ومائة وهى السنة التى مات فيها أبو حنفية وتوفى سنة أربع ومائتين).

ومدة عمره أربع وخمسون سنة، وكان فى كل يوم من أيام حياته يؤلف كتابا.

ولد فى مدينة غزة وظل فى رحم والدته أعوامًا ثلاثة. ولما انتقل النعمان بن ثابت وهو الإمام الأعظم من دار الفناء إلى دار البقاء لم يكن قد ولد الإمام الشافعى وظل فى رحم أمه ثلاثة أعوام وفى الساعة التى حضرت فيها الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان الوفاة ولد الإمام الشافعى. ولما بلغ السابعة تلقى العلم على يد الإمام محمد والإمام مالك ـ رضى الله عنهما ـ وجلس منهما مجلس التلميذ.

والآن عند قدمه الشريفة دفن اثنان من زملائه من تلامذة الإمام محمد ولهما روحانية عجيبة واسمهما الشيخ محمد والشيخ سيد عبد العزيز.

وفى الجهة الغربية من هذا الضريح كذلك دفن السلطان محمد الكردى مشيد هذا الضريح والإمام الشافعى كانت بينه وبين هارون الرشيد من بنى العباس صحبة وصدرت له الكثير من المؤلفات فى بغداد.

ووالدته السيدة شمسة ملكة مدفونة فى هذا الضريح كذلك. وعلى باب الضريح ثمانون خادمًا لإرشاد من يقدمون للزيارة. وعلى عقد عتبة الضريح العالية كتبت آية من آيات الذكر الحكيم من سورة الحجر على لوح من خشب الجوز الأسود وهى:

(بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ...﴾ إلى آخر الآية [الحجر: ٤٦ ـ ٤٧].

وخارج باب الضريح العالى أضرحة لا يعرف عددها إلا الله ـ تعالى ـ إلا أن الأضرحة التى زرتها هى ضريح الشيخ أبى الحسن البكرى وضريح شيخ الإسلام زكريا الأنصارى وضريح الشيخ نجم الدين حب الشالى العجمى، وضريح الشيخ فرحان

الحسنى، والشيخ إسماعيل المؤذن وهو زميل الشافعى، والشيخ شيبان الراعى قدس سره العزيز.

وقد زرت أكثر من هؤلاء إلا أننى لم أذكرهم لعدم علمى بأسمائهم.

والإمام الشافعى حى مستقل يسكنه ٢٠٠٠ نسمة، وبه ٦٠٠ منزل متصل. ومن نافذة كل منزل تتدلى مئات الزنابيل الصغيرة. وإذا مر بعض الزوار حركت نساء المنزل وصبيانه تلك الزنابيل المدلاة طلبا للصدقة فيضع رجل الخير فى الزنابيل باره أو منقر أو رغيفا فتجذب هذه الزنابيل إلى المنزل ويرفع الدعاء للمتصدق. وتلك عادة معهودة.

وفى الطريق العام كذلك يتصدق على الفقراء والمعدمين.

وفى قصبة الإمام الشافعى جامع لأحد سلاطين السلف ومدرسة وحوض وساقية و ٧ تكايا وعدة قاعات ومبرتان و ٧ زوايا و ١٠ دكاكين. وهذه الخيرات والحسنات معظمها للسلطان محمد أكراد والملك الكامل.

وعلى مسافة ساعة فى آخر قرية البساتين على بركة الحبش المتفرعة من النيل أقام ساقية كأنها البرج تجلب الماء إلى حى الإمام الشافعى بأقواس كأنها قوس قزح فما أعظم ما صنع من خير.

وفى كل ليلة سبت يتوجه كل من فى مصر القاهرة من أهل التقوى والصلاح إلى الإمام الشافعى زرافات زرافات قارعين الدفوف، ذاكرين اسم الله ـ تعالى ـ، حاملين آلاف القناديل والفوانيس والمشاعل، منشدين قصائد النفس والقصيدة التائية ونعت الإمام الشافعى وحتى مطلع الفجر يتقاطر على الإمام الشافعى خضم من البشر. ومنهم من لم يتخلفوا عن زيارة الإمام الشافعى منذ أكثر من سبعين عامًا، وهم أناس مستجابة دعواتهم. وفى داخل الضريح المفعم بالأنوار لكل منهم مقر معلوم، يقيم فيه للعبادة وقراءة المولد الشريف. ويتجمع فى هذه الليلة عدة آلاف من العميان حافظى كلام الله ويقرءون الختم الشريف ستمائة مرة وربما ألف مرة. فما فى مصر من حافظى كلام الله لا وجود لمثلهم فى غيرها. وهذا ما يجرى مجرى العادة منذ قديم فى كل ليلة سبت وله الدوام إلى ما شاء الله.

وفى العام يقام مولد عظيم لمرة واحدة ويحتشد مئات الآلاف فى مقابر الإمام الشافعى ورملته ومبراته وتزدان جميع المنائر والقباب والكوات بالقناديل ويدوم احتشادهم يومين وليلتين.

وخارج نوافذ ضريح الإمام الشافعى المطلة على الناحية الغربية دفن الشيخ البكرى رضى الله عنه، أجداده وسبعون من الأقطاب سوف نتحدث عنه فى موضعه ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ.

وعلى مسافة قدرها مائتا قدم جنوب ضريح الإمام الشافعى:

ضريح الشيخ الفقيه، الإمام الزاهد، سيدى الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبى الحارث ـ رضى الله عنه ـ.

كان شيخ إسلام الديار المصرية ومفتى الثقلين، وهذا القطب العظيم مدفون كذلك فى ضريح ذى قبة شاهقة العلو فى القرافة الكبرى، وهناك جامع ومدرسة وتكية وأسبلة ومبرة وزاوية وما يقرب من ٢٠٠ منزل للفقراء وسكانها يطلبون الصدقة بالزنابيل.

وهناك كذلك أضرحة للعلماء، وضريح الإمام الليث لا يبلغ مبلغ ضريح الإمام الشافعى فى اتساعه ورحابة أرجائه إذ إنه لا يتسع إلا لخمسمائة شخص. ويتوسطه تابوت مربع مغطى بالجوخ الأخضر وهو مدفون فيه. والضريح مزين ببعض القناديل والثريات وفيه يجتمع جميع فقهاء القاهرة وعلماؤها لتلاوة القرآن الكريم ولا يأتى غيرهم.

وعلى ضريحه تاريخ مسطور هو : (أمر بإنشاء هذا المرقد المبارك الشريف بفضل الله تعالى سيدنا ومولانا الدنيا والدين السلطان الملك قنصوه الغورى فى سنة عشرين وستمائة).

وعلى الجانب الأيسر من باب الضريح المعلى لوح من الرخام الأبيض طوله طول قامة إنسان كتبت عليه آية من آيات الذكر الحكيم هى: (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ [التوبة: ٢١]، كما كتبت تحت هذه الآية سورة الإخلاص وأسفلها سطر تاريخ هو: (اثنان وسبعون وسبعمائة).

ولقد زرت هذا القطب وتلوت سورة «يس» ابتغاء مرضاة الله ووهبت مثوبتها روحه ورجوت منه الشفاعة وليتقبل الله.

وإلى جوار الإمام الليث قبر داود باشا وهو من وزراء السلطان سليمان، وتاريخه عام ٩٥٦ وفى الجانب الشرقى لهذا الضريح، على بعد ألف قدم، فى منتصف الطريق إلى جبل المقطم، فوق أكمة عالية مرقد القطب الزاهد، صاحب الكرامات، غياث الواصلين، مطلوب الطالبين الشيخ شاهين رضى اله عنه، وكأنه شاهين قنع بصيده، واستقر فى رأس جبل قاف، وضريحه لا يخلو من الزائرين يصيد قلوبهم بالعشق، وأضرحة كل المدفونين فى القرافة الكبرى تبدو وكأنها تحت منقار هذا الشاهين. إنه ضريح طيب النسيم، وله جامع وتكية يسكنها المتصوفة ومبرة وسبيل وهو مدفون فى الجهة اليمنى من جامعه مع أولاده العظام وخلفائه الكرام وأكبر أبنائه الشيخ محمد العنقاء مدفون فى الجانب الأيمن، أما أصغر أبنائه الشيخ عبد ألله العقاب فمدفون فى الجانب الأيسر وألقاب خلفائهم كذلك مشتقة من أسماء الطيور ، إنهم متصوفة معتكفون فى ركن العزلة يسمون الطريقة الشاهينية. وجميع نفقاتهم من فضله فلا تجرى عليهم مرتبات من جهة، وهم متوكلون على الله، والله يبسط الرزق لهم وفى التنزيل العزيز: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦]، وقد وردت هذه الآية الكريمة فى شأن المتوكلين عليه ـ سبحانه وتعالى ـ.

ضريح الشيخ إدريس بن العباس والد الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ:

إنه ضريح صغير فى مصر القاهرة بالقرب من بيت المولوية. وقد رأيت فى أحد التواريخ أن الشيخ إدريس بن العباس مدفون فى غزة لأن الإمام الشافعى ولد فيها ولما توفى والده ـ الشيخ إدريس ـ ارتحلت والدته إلى بغداد ثم إلى المدينة، وهناك تلقى الشافعى العلم على يد الإمام محمد والإمام مالك. وقد أكد مؤرخو مصر بالتواتر أن وفاته كانت فى مصر ولقد زرته ـ رحمة الله عليه ـ.

وفى طريق القصر العينى داخل باب جمال الدين ضريح الشيخ عبد الله العراقى وهو ضريح صغير، وبالقرب من درب الكنيسة ضريح الشيخ أبى بكر معرف القوم وهو مزار عظيم.

وفى الطريق بين جامع الخاتونية والسيدة نفيسة مشهد قبر الطويل وهو مقام لا قبة له ولا تكية، وجوانبه الأربعة فى الطريق العام، ولأنه قبر طويل يصل طوله إلى عشرين قدما سمى بالقبر الطويل، وجاء فى إحدى الروايات أن أربعين من الصحابة الكرام مدفونون فيه لذلك سمى عند البعض بضريح الأربعين.

وعلى مقربة منه قبر الشيخ أبى بكر السليمانى، وعلى مقربة منه مرقد الوزير سلطان ناصر الدين. أدرك هذا الوزير عهد السلطان سليم، وكان عمره مائتا عام، ودخل فى طاعته مع خيره بك، وقد سعى السلطان سليم فى جنازته ودفن بالقرب من القبر الطويل.

مقام سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ

داخل القاهرة، على مقربة من باب الناصر بجوار جامع جمال الدين، يقع هذا الضريح على الطريق العام، ويهبط إليه بسلم من ست درجات، إنه زاوية ذات ثلاث قباب ومحراب وضريح، وهو موضع يستجاب فيه الدعاء.

وعلى مقربة من قنطرة الدكة شمال بركة الأوزبكية ضريح الشيخ حسن الشاذلى، وهو صاحب «حزب البحر» وهو مدفون فى جامعه. ويقرأ «حزب البحر» لمعظم المصابين بالصرع طيلة أربعين يوما فيتم شفاؤهم بمشيئة الله. وشهرته طبقت الآفاق وتوفى عام ٦٥٦ رحمه الله. وبالقرب منه قبر الشيخ ساكنية وهو مدفون كذلك فى جامعه.

ضريح الشيخ مرزوق كفافى

يقع بالقرب من قصر قاضى العسكر، إنه قطب عظيم على الطريقة الأحمدية. التقى بالسلطان سليم عند فتح مصر، وقد شاد جرجلى على بك جامعا وقبة فوق ضريحه، ولأنه عاصر أبا السعود الجارحى وهما اللذان قالا للسلطان سليم «تعال إلى مصر».

إنه قطب عظيم له كثير الأتباع من المتصوفة، وهم يسمون الطريقة الكفافية، وينسبون إلى الطريقة الأحمدية. وضريحه يزوره الناس خواصهم وعوامهم. وقد دفن معه ثلاثة من خلفائه، وفى الجوانب الأربعة لقبته عدة مئات من الحراب المذهبة والقلانس والطبول والأبواق والشارات.

وبالقرب من قنطرة الليمون ضريح الشيخ محمد العنانى، وعلى مقربة من درب الجماميز قبر الشيخ صفى قدس سره. إنه قطب عظيم وأتباعه من المتصوفة لا يحصون كثرة، ويوزع من قبره الأطعمة على الغادى والرائح، وهو مدفون كذلك فى جامعه وفى حرم تكيته شجرة نبق عظيمة.

مزار الشيخ الشعراوى

يوجد بالقرب من باب الشعرية، وهو من الأقطاب، ومدفون فى جامعه، ومناقبه لا تقع تحت حصر، ومؤلفاته تربو على ألف مجلد ومنزلتها لا تسامى فى علم التصوف. وكتاباه «طبقات الشعراوى» و «ميزان الشعراوى» زينة الدنيا.

وضريحه يزوره العوام والخواص.

مزار السلطان أيبك التركمانى

يوجد فى حى الخلالين بالقرب من سوق الغنم، وهو على الطريق العام، ولا قبة له إلا أن ـ جوانبه الأربعة محاطة بجدران من الرخام الأبيض. وعلى الرخام كتابات بنمط من الخط الكوفى يعجز علماء فاس ومراكش عن قراءتها، وهو خط بديع الزينة.

والسلطان أيبك هو زوج شجرة الدر التى أوقفت الكسوة السوداء الحريرية للكعبة، وكان لها الملك فترة من الزمن، وكانت ملكة عظيمة الشأن. واقتضت حكمة الله أن يكون الملك لأيبك على أثر تفشى الثورة. واتفق ذات يوم أن نقمت شجرة الدر على أيبك، وبينما كان أيبك يغتسل فى الحمام انتهزت شجرة الدر هذه الفرصة فأمرت جواريها بأن يعملن السيف فيه فى غفلة منه وقد أثخنته الجراح فى عدة مواضع من جسمه ولما كانت شجرة الدر سفاحة تحب رؤية الدماء كانت تسترق النظر إليه وهو يضرب بالسيوف من ثقب زجاجى فى أعلى قبة الحمام، بيد أن أيبك التركمانى كان شجاعا فجذب السيف من يد إحدى الجوارى وكان عارى الجسم تماما، وما أن رأت شجرة الدر أيبك يثخن القتل فى جواريها وينجو بادرت بالفرار بكل ما أوتيت من قوة من فوق قبة الحمام فهوت بها لفرط بدانتها وسقطت أمام أيبك التركمانى مدرجة فى دمائها وسرعان ما قتلها أيبك وهو يصب عليها اللعنات. ومات أيبك كذلك متأثرا

بجراحه، وهو مدفون فى هذا المكان ودفنت شجرة الدر مع من قتل أيبك من جواريها داخل الجامع الذى فى ذلك المكان.

إلا أن قبر شجرة الدر معمور وله كثير من الأوقاف، فقد كانت شجرة الدر امرأة تتقلب فى أعطاف النعيم، ولم يحظ أى سلطان من سلاطين السلف بكسوة الكعبة الشريفة بالحرير الأسود، ولكن هذا تيسر لشجرة الدر، وخصص فى كل عام مائة وسبعون كيسا من أوقافها للإنفاق على هذه الكسوة التى ترسل إلى مكة المكرمة. وهذه الكسوة ينسجها ثلاثمائة نساج من الحرير والذهب فى جوسق يوسف وهى جديرة بالمشاهدة.

ومزار القاضى ( )[1] فى القرافة الصغرى، وهو قطب عظيم.

قبر المستنصر بالله

أول من كان له الملك فى مصر من خلفاء بنى العباس. لقد استشهد آل عباس عن آخرهم على يد هولاكو التترى وأعمل السيف فى أهل بغداد جميعًا وعندما سوى أبنية بغداد بالأرض هدما وجعلها خرابا يبابا كان المستنصر بالله فى بادية العرب فكتبت له النجاة، ولما أفضت الخلافة فى مصر إلى الظاهر بيبرس دعا المستنصر بالله إلى مصر وفى عام ٦٥٩ كانت الخطبة والسكة باسمه، ثم رد مصر إلى الظاهر بيبرس وتوجه بيبرس إلى دمشق فى معية الخليفة المستنصر، ومضى الخليفة منها إلى بغداد حاضرة أسلافه واستقل الظاهر بيبرس بمصر ودمشق وحلب، إلا أن السكة والخطبة كانت باسم خلفاء بنى العباس. ولما بلغ المستنصر بغداد تنفس العباسيون الصعداء، وقدم المتوكل على الله إلى مصر، وهو الخليفة العباسى السابع عشر، وسكن القصر الذى بنى للمستنصر فى قلعة الكبش، فكانت الخطبة والسكه باسمه، إلا أن مقاليد الحكم كانت فى يد الظاهر بيبرس، ثم توفى المتوكل عام ٦٦٦ وهو مدفون فى ضريح ذى قبة أمام قبة السيدة نفيسة.

(١) بياض بالأصل.

مشهد الحاكم بأمر الله

كان فى طور الطفولة فى البادية على عـهد هولاكو، وفر إلى مصر، وظل فى قلعة الكبش فى مصر خليفة طوال إحدى وأربعين سنة، واشتهر بالسفه فى سلوكه، حتى إنه أنشأ مرصدا فوق الصخرة التى أمام قدم النبى لـيجعل الليل نهاراً والنهار ليلا فإذا خرج أحد فى وضح النهار من داره قتله، فكان النـاس ينامون نهاراً على أن نهارهم ليل وإذا ما حل المساء ازدانت القاهرة بالمصابيح واشتغل الناس بالبيع والشراء وكأنه النهار.

ولقد أمهله الله إحدى وأربعين سنة على هذه الأحوال الغريبة والأطوار العجيبة وفى آخر الأمر قتلته أختـه فى إحدى القرى ودفنوه إلى جوار السيدة نفيسـة، واستقر جثمانه هناك إلى يومنا هذا.

وقد أقام الحاكم بأمر الله الجامع الكبير الموجود فى باب الناصر، وملأ الجامع الأزهر بروث الخيل ودعا الناس إلى جامعه وعين لكل منهم رغيفًا وصحنا من الحساء، إلا أنهم صدوا عن جامعه، وتـابعوا دروسهم وصلاتهم وسط الروث الذى كـان موجود بالجامع الأزهر، إلى أن أهلكه الله فطهروا الجامع الأزهر وهو إلى يومنا هذا يغص بطلبة العلم، ولا يؤم جامـع الحاكم الآن إلا قلة من الـناس، لأنه بنى ظـلما ولا تطيب الـصلاة لمن يصلون فيه.

قبر الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفى بالله سليمان

استوى على عرش الخـلافة عام ١٢ وأدركته الوفاة فى عهد الملك الـصالح ابن الملك الناصر بالطاعون عام ٧٥٣ ودفن كذلك بجوار السيدة نفيسة.

مشهد المقتصد بالله بالقرب من السيدة نفيسة

مشهد المتوكل على الله محمد بن المقتصد بالله أبو بكر

تولى الخلافة عام ٧٨٥. آلت الخلافة إلى السلطان برقوق الشركسى وطالب بالسلطنة لذا خلـع المتوكل وحـبسه فى قلـعة الجبل، وبـعد ست سنوات أطـلق سراحه وجـعله خليفة.

وفى عام ٧٩٧ كانت الخلافة لبايزيد فى بلاد الروم (الأناضول) فأرسل رسولا إلى المتوكل تبركا وتيمنا واستأذن منه فى تجديد البيعة، وأرسل المتوكل كذلك إلى السلطان بايزيد يلدريم سجادة ومصحفا وجوادا وشاة ومرسوما. وعندما توثقت الصلة بين المتوكل وبايزيد يلدريم خان استقل الأخير ملكا، وأغار كالصاعقة على بلاد الكفر، وقرأت الخطبة باسمه فى سبعمائة مكان.

ومن ناحية أخرى دام حبس المتوكل على الله وعزله وعودته إلى الخلافة خمسا وأربعين سنة، ثم توفى فى عهد السلطان فرج بن برقوق ودفن كذلك بجوار السيدة نفيسة ـ رحمها الله ـ.

والواثق بأمر الله عمر بن إبراهيم بن المستمسك بالله بن الحاكم بأمر الله دفن فى قبر عظيم بالقرب من السيدة نفيسة عام ٧٨٨.

مشهد المقتصد بالله داود بن المتوكل على الله محمد

أتته الخلافة عام ٣٢، حمل على دمشق مع السلطان جقماق وفتحها، وعندما عاد إلى مصر منصورا مظفرا توفى المقتصد بالله عام ٨٤٥ ، وسعى حقماق فى جنازته حاملاً جثمانه على كتفيه حتى السيدة نفيسة وهو يبكى أحر بكاء، ودفنوه فى ضريح الخلفاء أمام السيدة نفيسة لأن هذا الضريح كان المثوى المبارك لخلفاء بنى العباس العظام، وفى ذلك المقام الشريف دفن مئات من ملوك السلف وآلاف من الأمراء أنمحت آثارهم فيه.

مشهد المستكفى بالله سليمان بن المتوكل على الله محمود

آلت إليه الخلافة بعد أخيه المقتصد، ولم يمهله الموت إلا تسعة أشهر وسعى الملك الظاهر جقماق فى جنازته ودفن إلى جوار أخيه المقتصد بالله بالقرب من السيدة نفيسة.

مشهد المستنجد بالله يوسف بن المتوكل على الله محمد

دامت له الخلافة خمسة وعشرون عاما وتوفى عام ٨٨٤ وسعى فى جنازته السلطان قايتباى ودفن كذلك فى السيدة نفيسة، وعندما فتح السلطان محمد اسطنبول بلغه نعى

المستنجد بالله فأخذه شديد الأسى وأرسل برهان الدين المغولى خليفة آق شمس الدين ومعه سترا مزركشا من مال الغزو وبه ستر تابوته الشريف وهو مستور إلى يومنا هذا به. إنه ستر بديع الصنع منقطع الشبيه.

مشهد المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل على الله

آلت إليه الخلافة عام ٨٨٤، وبقى فيها تسعة عشر عامًا، وفى عام ٩٠٣ على عهد السلطان قايتباى توفى السلطان الناصر محمد[١] والمتوكل فى اليوم نفسه ودفنوا المتوكل بجوار السيدة نفيسة، أما السلطان محمد فدفنوه فى مصر العتيقة.

إلا أن المتوكل هذا كان خليفة بلغ من الكبر عتيا حتى إنه أدرك عهد السلطان سليم فاتح مصر وطابت صحبته وانعقدت بينهما أواصر الألفة واصطحبه إلى اسطنبول ونزل المتوكل ضيفا على قصر بيرى باشا، وقضى الله بأن يموت السلطان سليم، فانعقدت بينه وبين سليمان مودة وألفة.

نمى إلى المتوكل نعى أبيه من مصر فأذن له سليمان بأن يكون خليفة فى مصر، وقبل يده أمام الشيخ أبى السعود، وعين بلاق مصطفى باشا قائد أسطول عظيم، فقدم مع المتوكل من اسطنبول إلى الإسكندرية وألقت السفينة مرساتها بعد سبعة أيام فى الإسكندرية ودخل القاهرة بعد ذلك بيومين واستقبله داود باشا والى مصر ومضى به إلى قلعة الكبش فى موكب عظيم حيث عرش أسلافه واستوى المتوكل على سرير الخلافة ودامت خلافته ثلاثة وعشرين عاما وأدركته الوفاة عام ٩٠٥ فى عهد داود باشا ودفن بجوار السيدة نفيسة.

وبوفاة المتوكل هذا انقرض من كانوا بمثابة خلفاء بنى العباس فى مصر، وعددهم سبعة عشر خليفة ودامت خلافتهم ( )[٢] سنة.

إلا أن خلفاء مصر من بنى العباس كانوا فى منزلة شيخ الشيوخ وكانت الخطبة والسكة باسمهم إلا أن أزمة الحكم كانت فى يد سلاطين الجراكسة وكانوا يدبرون

(١) مات مقتولاً فى ١٥ ربيع الأول سنة ٩٠٤هـ، والله أعلم.

(٢) بياض فى الأصل.

كل الأمور أما هؤلاء العباسيون فكان لهم القول دون العمل وكانوا يبايعونهم ولهم منزلة رفيعة.

ومشهد المستمسك بالله كذلك بالقرب من السيدة نفيسة

مراقد سلاطين مصر بداية من صلاح الدين يوسف بن شاد الكردى من آل أيوب سبعة سلاطين، وفى عام ٥٧٢ عندما كان صلاح الدين يوسف وزيرا لنور الدين الشهيد فى دمشق استقل بملك مصر، وأوجس خيفة من نور الدين الشهيد فبنى قلعة مصر الداخلية والخارجية وأحاط القاهرة بسور يبلغ طوله تسعة وعشرين ألفا وثلاثمائة ذراع، وأقام بالقرب من الإمام الشافعى مدرسة.

وفى عام ٥٧٥ دارت رحى الحرب بينه وبين الصليبيين فى مرج العيون وألحق الهزيمة بالفرنجة. وفى عام ٥٨٩ دفن بالقرب من جامعه فى القاهرة.

يقول البعض إنه دفن فى دمشق وهذا مجاف للحقيقة وتاريخه مطبوع فى ذاكرتى.

مشهد الملك الكامل

دفن بجوار دار الحديث بمدينة القاهرة، وله كثير من المؤسسات الخيرية فى الإمام الشافعى.

مشهد الملك الأشرف خليل بن قلاوون

ضرب الحصار على عكا أربعة وأربعين يوما وانتزعها من يد الأسبان، وبعد انتصاره قفل راجعا إلى مصر وكانت وفاته فيها، وهو مدفون فى ضريح ذى قبة فى ساحة جامعه.

ومشهد الملك العزيز عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى سقف جامعه، أما أخوه الملك الأفضل فكانت له الخلافة (الملك) قبل الملك العزيز إلا أنه خلع لخسته ودناءته ونُفى إلى دمياط، وفيها كانت وفاته، وحملوا جثمانه إلى القاهرة حيث دفن إلى جوار أخيه الملك العزيز عثمان.

قبر الأشرف الأيوبى

سماه المصريون العبد الدمشقى، ولأنه كان كَسلا جهولا كثر من يناشبونه العداء من كل جهة، وفى عهده تنازل عن القدس للأسبان والفرنجة صلحا. وفى عام ٩٣٥ توفى فى دمشق وهو فى الستين من عمره وحمل جثمانه إلى مصر ليدفن فى جامعه.

مشهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد

أدركته الوفاة فى مدينة المنصورة وهو مدفون فى ساحة جامعه بالقاهرة. وقد أقام مدارس للمذاهب الأربعة فى «بين القصر»، كما أقام قلعة جزيرة الروضة إلا أن فيضان النيل خربها، إلا أن آثار أبراجها ما زالت ماثلة للعيان فى ناحية أم القياس فى الجهة المطلة على الجيزة.

مشهد الملك المعظم طوران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب

وطوران شاه هذا كان أميرا للجيش فى حصن كيفا عندما توفى والده نجم الدين أيوب فى مدينة المنصورة، وكان طوران شاه فى حرب مع العجم. وطوران شاه ابن شجرة الدر زوجة نجم الدين أيوب، وبعد أن توفى نجم الدين كتمت شجرة الدر خبر وفاته عن الناس بحسن تدبيرها وسداد رأيها، وأبلغت نعيه ابنها الملك المعظم طورانشاه سرًا، فقدم مصر على عجل وبلغ القاهرة فى أربعين يومًا، وعندئذ أميط اللثام عن وفاة والده وبايع جميع الأعيان الملك المعظم، واستقل بملك مصر، وعندئذ سرعان ما استولى الصليبيون على مدينة دمياط.

وفى عام ٦٤٨ أباد طوران شاه الفرنجة عن آخرهم وفتح دمياط ثم عاد إلى القاهرة وشق مماليكه عصا الطاعة وقتلوه فى قصره.

دامت سلطنة طوران شاه سبعين يوما ودفن بجوار أبيه فى القاهرة ودالت به دولة الأيوبيين وأفضى الملك إلى أمه شجرة الدر، ودام حكمها سبعين يوما كذلك، ثم أفضت الخلافة إلى زوجها أيبك التركمانى وقد ذكرنا وقائعهما آنفا.

ثم آل ملك مصر إلى مماليك نجم الدين أيوب وعصره بداية عهد المماليك.

وفى الطريق بين دمشق ومكة المكرمة بـركة الملك المعظم طوران شاه وهى من خيراته ولا نظير لها فى طريق عام. حقا إنه ملك خير معظم.

والملك أسد الديـن شيركوه شاد الكـردى دفن بجوار جامـع الأشرفية فى مـصيف قايتباى، **والسلطان المؤيد من عند الله** مدفون فى ساحة جامعه بالباب الحديد.

وفى الباب الحديد الأضرحة الأربعون وهى أسفل جامع السلطان المؤيد، إنها أضرحة عظيمة خلف الباب الحديدى، وهى الآن مقام شريف لا يخلو من المتصوفة.

وعلى مـقربة من جـامع المؤيد ضـريح الملك المظـفر أبى السـعادة خامس سـلاطين الجراكسة وكان ملكا عادلا.

وفى القرافة المـنحوتة ضريح الملك الطـاهر أبى الفتح التترى، وهـو سادس سلاطين الجراكسة ووفاته كانت عام ٨٢٤، وعلى عتبة ضريحه العالية تاريخ تعلوه عبارة: (فاتح حلب الشهباء) والملك العزيز ابن الملـك الأشرف، وكذلك الملك جمال الدين، مدفونان إلى جوار المـلك الأشرف فى جامع الأشـرفية. والملك الـعزيز عماد الدولـة بن صلاح الدين يوسـف مدفون بجوار الإمام الـشافعى. والملك مـعز الدين من ممالـيك آل أيوب مدفون فوق سد على طريق مصيف قايتباى وفاته كانت عام ٣٦٥. وبانى الجامع الأزهر من صلب مال المعـز لدين الله هذا، وفى عام ٣٦١ خرج المعز لديـن الله هذا من بلاد المغرب متعللا بالجـامع الأزهر وانتزع مصر من يد الإخشيديين وقهـر أناسًا من شعبها، ولأن أهل مصر القاهرة عتاة جبابرة أرضىّ المذهب سميت القاهرة المعزية.

وأزهـر مـاى بورنـوى مدفـون بالقـرب من جامع الأزهر، وأخو يـوسف صلاح الدين الذى بنى قصـور الوزراء هو الملك سيف الدين بن أبى بكـر بن أيوب، ولكن بما أنه كان عاشقا ولـهـان دخله الغضب ذات يوم وضرب تحت أذنه بقبضته فجرى الدم من أسفـل أذنـه ومـات، وهو مدفون بجوار عمر بن الفارض وقد انـهدمت بعض جوانب ضريحه.

مشهد طومانباى والسلطان محمد ابن السلطان الغورى

إنه السلطان طومانباى الذى حارب السلطان سليم، ولقد لقى السلطان الغورى حتفه فى حربه مع السلطان سليم، فخلفه ابنه السلطان محمد وهو قاصر، وما كانت له الحنكة والدراية بفنون الحرب، ولذلك تمرد عليه الجند وخلعوه وأحلوا محله السلطان طومانباى.

وقد سبق لطومانباى أن حارب سليما فى اثنين وأربعين معركة إلا أن الهزيمة لحقت به فى النهاية وولى هاربا وقبض عليه فى جبال صعب بالفيوم بعون بعض عرب البحيرة وصلبه سليم على باب زويلة فانتهت الفتنة والفساد ولكن أدركت سليم الرحمة عليه فأمر بغسل جثمانه وشيعه حتى العادلية. وإلى جوار طومانباى دفن السلطان محمد بن الغورى، وفى عام ٩٢٢ كتب تاريخ وآية الكرسى على تابوته الرخامى.

مزار الشيخ ذى النون المصرى

دفن فى ضريح مستقل بالقرب من ضريح الشيخ عقبة الجهينى فى ظل جبل المقطم. ولد ذو النون المصرى فى شرق مدينة أخميم وكان قبطيا من خواص المقوقس ملك مصر، وقد أوفده المقوقس مبعوثا من قبله ومعه جاريتان إحداهما السيدة مارية وهى أم إبراهيم ابن النبى (صلى الله عليه وسلم) وبغلة وسيف.

وقد أهدى النبى (صلى الله عليه وسلم) السيف والبغلة المُسماه «دلدل» وهُما هدية المقوقس إلى سيدنا على كرم الله وجهه، والسيف الذى أهداه هو سيف المقوقس واسمه «ذو الفقار»، وأهدى إحدى الجاريتين إلى الشاعر حسان بن ثابت وقد أنجبت له ولده الأكبر عبد الرحمن بن حسان.

وعندما أوصل ذو النون هذه الهدايا إلى النبى ﷺ لم يَقْوَ على كبت محبته للنبى ﷺ فأسلم من أعماق قلبه ودخل فى زمرة الصحابة الكرام وأصبح شيخا لمهرة الأطباء، وبلغ مبلغ فيثاغورث التوحيدى فى علم الطب، وكان عالما شاعرًا، وتلقى تعاليم التصوف على يد على بن أبى طالب، وتضلع من العلم اللدنى، وسلسلة الأطباء تنتهى إليه.

وفى عهد خلافة عمر نازعته نفسه إلى وطنه فمضى مع عمرو بن العاص واستشهد فى فتح مصر، ودفن فى تراب مسقط رأسه فكل شىء يرجع إلى أصله.

ضريح الشيخ أبى السعود الجارحى

يقع خارج الجهة الجنوبية لمصر القاهرة على مسافة ألف وستمائة قدم منها، وهى قصبة بها ما يقرب من ستمائة منزل وجامع وزاوية وتكية وسبيل. والشيخ الجارحى مدفون فى تابوت مغطى بالجوخ الأخضر، وهو داخل ضريح ذى قبة عالية وسط هذه القصبة.

والشيخ أبو السعود الجارحى أحد من نادوا سليم قائلين «تعال يا سليم إلى مصر».

ويحتشد جمع غفير من الناس فى ضريحه كل عام للاحتفال بالمولد النبوى. إنه مزار يؤمه العوام والخواص والنساء. ومن يمسح عتبته بوجهه هم العارفون بالله.

مشهد رأس الإمام الحسين
ابن الإمام على بن أبى طالب. رضى الله عنهما.
بالقرب من خان الخليلى

ولد فى اللحظة التى استشهد فيها سيدنا حمزة ـ رضى الله عنه ـ فى غزوة أحد. ويقول بعض المؤرخين إنه ولد قبل الهجرة النبوية الشريفة وعاش ستة وخمسين عامًا.

تنازل الحسين عن الخلافة ليزيد بن معاوية عن رضاء وطواعية، ولأنه لم يبايع يزيدا وجه إليه قادته عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وغيرهم من دمشق، ونشبت الحرب فى صحراء كربلاء مع مائة ألف بلاء واستشهد أميران من أبنائه وأربعه أخوة وأولاد أحد إخوته وخمسة من أبناء عمومته، وعشرون ألفا من الصحابة الكرام فى يوم عاشوراء من سنة (٦١هـ) للهجرة وهم جياع عطاش، ثم استشهد الإمام الحسين وحملوا رأسه الشريف إلى يزيد فى دمشق فابتهج لذلك كثيرا وأرسل الرأس إلى معاوية بن جريج فى مصر، وقام هذا اللعين بالتمثيل به فى ميدان مصر القاهرة، وكل من ركل هذا الراس الشريف بقدمه من جبابرة الفراعنة تورمت قدمه وأصبحت وكأنها القربة. والآن تورمت أقدام عدة آلاف فى مصر.

بعد ذلك قضى الله بأن تقطع إحدى النساء رأس أحد أبنائها ووضعته فى الميدان، واحتفظت برأس الإمام الحسين حتى إذا عزل عامل يزيد على مصر وتولى مكانه عامل

مؤمن ورع من محبى أهل البيت فأمر تلك السيدة بإظهار رأس الحسين، ودفنته فى مشهده الموجود الآن، ثم أولاه ـ المقتدر بالله ومن جاء بعده من خلفاء بنى العباس اهتماما عظيما فأقام عليه بناء عظيما وقبة ودفن الرأس الشريف فى تابوت مكسو بالحرير المزركش وسط هذه القبة. ويزدان هذا الضريح بصنوف المباخر وأوعية ماء الورد والشمعدانات والقناديل، وكأنه الجنة العالية والجامع السلطانى. وبما أن هذا المشهد فى حجم الكعبة الشريفة يلف حول أعمدته كسوة الكعبة الشريفة لقياسها.

إنه مشهد يزار ليل نهار. وفى سفح جبل المقطم المعروف بجبل الجوشى:

مزار سلطان العاشقين

سيدى الشيخ عمر بن الفارض الحموى المصرى

كنيته أبو حفص واسمه الشريف عمر، من قبيلة بنى سعد. وله قصيدة بليغة تسمى «التائية» يعجز فحول الشعراء عن قرض مصراع مثل مصراع فيها. حتى إن محيى الدين بن عربى فى دمشق أرسل إلى عمر بن الفارض يستأذنه فى أن ينظم لها نظيرة. فقال عمر بن الفارض لمحيى الدين بن عربى إن كتابك المسمى «الفتوحات المكية» نظيرة لهذه «التائية». إنها قصيدة بليغة إلى حد جد بعيد، وعندما ينشد المتصوفة بيتا أو بيتين منها كل يوم جمعة فى ضريحه يغيبون عن الوعى فى نشوة الوجد. إنه ضريح عظيم، وتكية عظيمة، ومبرة، وفيه متصوفة وجميع أوقافه من أوقاف الملك الكامل، لأن عمر بن الفارض توفى عام ٦٣٢ فى أواخر عهد الملك الكامل.

وفى كل يوم جمعة يَغُصُّ جامعه بالناس حتى إذا قدم أحد لم يجد له موضعا، ومع ذلك يجد له مكانا بأمر الله، وكرامة له، ويجسو كل منهم على ركب بعضهم خواصهم وعوامهم، ولا يستنكف أحد من ذلك وقد اجتمعت قلوبهم خواصا وعواما. يا لها من حكمة عجيبة. ولا وجود لمثل هذا الجو الروحى فى أى تكية أخرى ويقول جميع علماء مصر إن روح النبى (صلى الله عليه وسلم) تحضر فى كل يوم جمعة فى هذه التكية، كما تحضر أرواح سائر الأنبياء وهذا ما اصطلح عليه جميع مشايخ مصر. ـ رحمة الله عليه ـ.

مزار الشيخ الجوشى فوق جبل الجوشى

له جامع وتكية وعدة بيوت وهو مدفون فى ضريح صغير ذى قبة فى الجهة اليسرى من جامعه وهو ضريح جد بديع، أعلى جبل المقطم وهو على مسيرة يوم من مصر القاهرة فيما يحيط بها من الصحارى. وتحت هذا الجبل كهوف تربو على الآلاف بها عدة آلاف من المتصوفة وصلحاء الأئمة ممن لم يهبطوا القاهرة قط. وهم أهل حال وأصحاب مجاهدات قوامون ليلاً صوامون نهارًا، منهم:

الشيخ محمد الغمراوى الذى يجاهد نفسه ويفطر يومًا فى الأسبوع، فهو سلطان فى ركن عزلته، وردى البشرة.

والشيخ على المغربى يسكن كذلك إحدى المغارات وهو نحيل ضئيل، إلا أن زواره يقدمون له الطعام، والهدايا، ولا يصيبه منها إلا النذر اليسير، وهو مع ذلك لم يشاهد متبولاً ولا متغوطًا، وتفوح رائحة الزعفران من مغارته على الدوام ـ سلمه الله ـ.

وفى غار آخر كذلك الشيخ رجب شاه وانى الذى لم يخرج من غاره منذ ثمانية وأربعين عامًا قضاها فى التنسك وتلاوة القرآن، إنه زاهد زائع الصيت بتقواه، فقد جاءه أحد الرهبان وتجرأ قائلاً: «فلنعتكف أربعين يومًا بلا طعام»، وظلا فى الغار سبعة أيام بلياليها أراد الراهب بعدها أن يخرج من الغار لقضاء حاجة عرضت له فمنعه الشيخ رجب شاه وانى من الخروج من الغار، وسد خدامه باب الغار، فمكثا فى الغار. وفى اليوم الثامن عشر هلك الراهب من الجوع، وأخرجوا جثمانه من الغار، أما الشيخ رجب شاه فقد أكمل الأربعين يومًا بلياليها دون أن يتناول حبة من قمح. كان الشيخ رجب حافظًا للقرآن الكريم.

وبالقرب من ضريحه يوجد ضريح الشيخ معصوم البلغرادى وهو رجل عاقل من الشعراء البلغاء وله ملكة حسن الخط، كان يتعيش منها على الكفاف، كان مداومًا على صيام داود، كما يقيم كل من الشيخ محمد الفرسكورى والشيخ مردمى الطربزونى فى غار واحد، معتكفين عن الناس، ولا يعلم أحدٌ من أين يحصلان على قوتهما، سلمهما الله، ونحمد الله أن شرفنا بمقابلتهم والحديث معهم، ودعائهم لنا بالخير. وما عرفناه منهم من كلمات الأسرار لا يمكن البوح بها باللسان.

وهناك المئات من العارفين الذين يسكنون أركان تلك المغارات ونسأل البارى أن يرفع من قدرهم، ولو أننا قمنا بتدوين ما دار بيننا وبين كل واحد منهم لصار كتابًا مفصلاً.

وأسفل هذه المغارات يقع غار الشيخ عبد الله المغاورى، وهو غار عظيم موسوم بعموده الكبير الذى يشبه الجبل لو دخله شخص لتملكته الحيرة والدهشة من اتساعه، إذ يتسع لعشرة آلاف رأس من الغنم، وفى نهايتها ضريح عبد الله المغاورى وكان سلطانًا له قدرة على التسخير، فكان يذهب إلى الحج فى كل عام ويرى الآلام التى تتكبدها أمة محمد ﷺ فى الطريق من شدة الحر، وكان له صاحب من الجن، أمره عبد الله المغاورى بأن يخترق الجبال والكهوف الواقعة على الطريق بين مصر ومكة ويشقها لتخلص عباد الله من شدة الحر، فشق الجنى أولاً مغارة عبد الله المغاورى. حقيقة إن هذا الصنيع ليس من مقدور البشر، ولم ييسر البارى - عز وجل - إتمام هذا العمل، فقد توفى المرحوم الشيخ عبد الله المغاورى ودفن فى فناء هذا الغار، كما أن أربعين من كبار أولياء الله مدفونين معه فى هذا الغار لكننا لا نعرف أسماءهم الشريفة ولهم مريدون، ومكتوب على باب هذا الغار عبارة (أمر بإنشائه مولانا الملك المظفر الظاهر بيبرس) لكنها مكتوبة فى مكان شديد الارتفاع، وفى أركان هذا الغار يقيم المريدون جماعات جماعات.

وعلى مقربة من هذا الضريح توجد أضرحة أخوة يوسف الصديق يامن وابنه إفرايم وصارير بن يهودا وعزيز مصر وزليخة والملك الريان.

وعلى مقربة منها مقام النبى موسى - عليه السلام - وهو مكان للعبادة، وملحق بهذا المقام ضريح الشيخ عيسى أحد أبناء الشيخ عبد القادر الجيلانى، وهو رفيع المقام يسكنه بعض مريدى الطريقة القادرية.

وبحافة جبل المقطم - أى فى نهاية القرافة الكبرى - يوجد مزار الشيخ السادات المغربى، وهو تكية كبرى تضم جامعًا وتكية وعمارة وغرفًا للمريدين، إنها تكية عامرة، ومدفون فى مصر من أحفاد وأبناء الشيخ السادات أربعون شخصًا يقام لهم احتفال مرة كل عام فى النصف من شعبان حيث يفد مائتا ألف شخص بالخيام الصغيرة والكبيرة

ويمكثون هناك اثنا عشر يومًا بلياليها، وفى الليل يضيئون مئات الآلاف من القناديل ويذكرون الله، وقد توسط المكان الشيخ أبو التخصيص «صاحب السجادة» يقدم الخبز للزوار ويعطى لكل واحد منهم كنية أى لقب. ثم يضعون على صدره الشال الكشميرى أو عمامة الرضا البيضاء، ويبايعونه لأن طريقتهم الطريقة الوفائية التى تنتهى برسول الله ﷺ، إنها تكية عظيمة قُدّس سره.

وبالقرب من هذه التكية مزار أبو السعود العشائر وقد ضم ولاة مصر أوقاف تلك التكية إلى الأموال الأميرية ولهذا خلت من المريدين، وبجوار جامع السلطان حسن يوجد ضريح الشيخ أحمد الرفاعى، والشيخ وكل أبنائه مدفونون فى هذا الضريح، إنها تكية عامرة مريدوها كثير، وهم على الطريقة البرهانية، وخلفاؤهم يعتمّون بعمامة عباسية سوداء، ويحملون راية بيضاء، ولهم مولد عظيم يقام مرة واحدة فى السنة.

وبالقرب من سويقة الدلال يوجد جامع قطب الآفاق وشيخ الشيوخ على الإطلاق الشيخ شمس الدين الحنفى، وهو سلطان عظيم مدفون فى قبة عالية بالجانب الأيمن من الجامع المذكور، وهى تكية عامرة بالمشايخ والمتصوفة. وفى فناء الجامع شجرة سدر، وفى يوم الأربعاء من كل أسبوع يأتى الآلاف لزيارتها، قُدّس سره العزيز.

وفى الناحية الأخرى من النيل المواجهة لمصر القديمة، والجانب الغربى من قصبة الجيزة يوجد ضريح الصحابى الجليل أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ الذى روى الأحاديث الصحيحة عن النبى ﷺ، كان النبى ﷺ يحبه حبًا شديداً وقد لقبه النبى بأبو هريرة لفرط حبه للقطط وقد قال النبى ﷺ: «حب الهرة من الإيمان»[1]، وأبو هريرة من قبيلة دوس، وعندما كان خالد بن الوليد قائدًا على غزوة الشام كان أبو هريرة قائداً على قبيلة دوس المذكورة فى تلك الغزوة، وفتح القُدْس الشريف مع عمر بن الخطاب وعندما كان

(١) ذكره الصَّغانى فى كتاب الموضوعات برقم (٨٣) ص٤٧.
وقال الإمام على القارى فى كتاب «الموضوعات الكبرى» ص ١٨٢ ـ ١٨٣ بأن الحديث «موضوع كما قال الصغانى وغيره. وقد بسطت عليه بعض الكلام فى رسالة مستقلة لتحقيق المرام».
ووافقه أيضًا فى الحكم على هذا الحديث بالوضع العجلونى فى كتاب: كشف الخفاء ١/ ٤١٥، والشيخ محمد الحوت البيروتى فى: أسنى المطالب ص ٩٢.

يقاتل فى غزوة مصر مع عمرو بن العاص جرح فى خده وعبر إلى ناحية الجيزة واستشهد هناك، وقد بنى عمرو بن العاص ضريحًا له داخل بستان عامر بالنخيل والأشجار، وفى تكيته الآلاف من القطط والهرر، وفى مصر إذا ما ضاق أحد من هرته فإنه ينقلها إلى تكية أبو هريرة لذا لا يعلم عدد تلك القطط الموجودة هناك إلا الله، وهو الذى يطعمهم.

ذكر أوصاف مولد أبو هريرة

يقام المولد فى تكية أبو هريرة مرة واحدة فى السنة فى شهر يوليو، وحيث يصل كل الدعاة والصلحاء والأشراف بخيامهم وينصبونها فى الأماكن المعشوشبة من صحراء الجيزة ويذكرون الله ثلاثة أيام بلياليها ويشعلون مئات الآلاف من القناديل والفوانيس والمشاعل، ويحضر الزوار بالخيام وتحمل مئات الآلاف من الزوارق والقوارب الزوار بخيامهم، ويصبح الجمع عظيمًا وكأنه عيد خوارزم شاه. ولا يوجد تجمع كهذا فى أى مكان آخر فى شهر يوليو سوى فى هذا المكان، هذا بالإضافة إلى وجود عين فى الجانب الشرقى لنافذة ضريح أبو هريرة تتدفق منها المياه الصافية ويطلقون عليها «عين الهرة» لصفائها كعين الهرة، وقد نبعت تلك العين كرامة لأبى هريرة، ويشرب منها مئات الآلاف من القطط الموجودة فى تكية أبو هريرة ويدفعون بها جوعهم وعطشهم بأمر الله، ويعيشون عليها حيث لا غذاء لهم سواها، وفى شهر يوليو تجرى المياه فى تلك العين حمراء اللون لأنه عندما جُرح أبو هريرة فى غزوة مصر وسقط دمه على الأرض جرى الماء دمًا من تلك العين لمدة أربعين يومًا إلى أن فاضت روحه صار الماء أَبْيَضَ صافيًا مرة أخرى، وإلى الآن تجرى المياه فى هذه العين من شهر يوليو وحتى أيام المولد حمراء، وإذا ما شربت النساء والحائضات منه ينقطع عنهن الحيض، وفى أيام المولد تجرى المياه بيضاء بأمر الله، حيث يجتمع السادة والمتصوفة وحملة المشاعل عند هذه العين ويدعون الله فتجرى المياه بيضاء عذبة. فيشرب شيخ تكية أبو هريرة أولاً ثم يقوم بملئ الأباريق والجرار والأقداح ويقدم إلى وزير مصر وقاضيها ونقيب الأشراف ومشايخ الإسلام

الأربعة وسائر أمراء مصر وتُرسل هدايا لكل أعيان مصر، حيث يشربون منه، ومنهم من يشربها بنية الشفاء. كما يحسنون بها على المتصوفة والمريدين الذين يجلبونها إليهم، وتشرب كل أمة محمد من هذا الماء، وبالرغم من أنه يتم ملئ مئات الآلاف من الجرار والأباريق من مياه تلك العين إلا أنها لا تنقص قطرة واحدة، وفى اليوم الثالث للمولد تصير مياه هذه العين كماء الورد ويُرسل منها إلى الشام وحلب وبغداد والبصرة وإستانبول تبركًا، حيث يكون طعم المياه حينذاك مثل ماء زمزم وطبيعته مسهلة، وهو دواء لسبعين داء مختلف، من يشرب منه مرة لن يصيبه مرض حتى السنة المقبلة بل إنه لن يحتاج إلى طبيب، ولكن يجب أن يُشرب بنية خالصة، فإنه عندئذ يدفع الدم الفاسد من الجسد والأخلاط الموجودة فى الجسم والرعشة والبرص والجذام، وعادة ما تظل مياه العين المذكورة عذبة لونها أصفر براق حتى السنة التالية، ثم تتحول إلى اللون الأحمر فى شهر يوليو وتظل على ذلك أربعين يومًا بلياليها، حتى يوم المولد حيث تنقطع المياه الحمراء فيه، وتجرى المياه البراقة وكأنها ماء الورد، وهى تجرى على هذا المنوال إلى ما شاء الله، وفى هذا المولد الشريف يتم بيع ما يقرب من عشرة ملايين جرة وكوب وقصعة وذلك من أجل العين المذكورة، ولا يعلم حسابهاإلا الله ويُباع فى هذا اليوم أيضًا اللبن الرايب والسمن الجيزاوى، ولوجود جبال الأهرامات فى تلك المنطقة يقوم خمسة أو عشرة أشخاص من زوار تكية أبو هريرة بالتجمع فى مكان ما ويذهبون لمشاهدة جبال فرعون إما سيرًا وإما على ظهور الدواب.

عبرة

فى أيام مولد «أبو هريرة» وعلى مقربة من تكيته فى الجيزة تخرج من باطن الأرض مئات الآلاف من عظام الشهداء الذين استشهدوا معه وتتحرك تلك العظام، ولكنى لم أرَ ذلك بعينى بل سمعته من رجال ثقات، وعندما كنتُ أعبر النيل بالمركب إلى ناحية مصر القديمة شاهدت الأهالى يحملون فى أيديهم بعض العظام وقالوا إنها أعضاء الشهداء ونأخذها إلى بيوتنا تبركًا بها، وهذه حكمة إلهية للعبرة والعظة.

وعندما سألت بعض الرجال وعلماء الأزهر عن ذلك قالوا إن العظام تكثر حقيقة فى هذا اليوم ولا يعرف أصحابها، والبعض يقول عن تلك العظام أنها عظام القبط الذين تحاربوا مع الصحابة وقتلوا فى تلك الحرب، ولأن قتلهم كان فى شهر يوليو فإن الأرض تلفظ عظامهم حتى أن بعض القبط يحملون تلك العظام إلى منازلهم، لا يعلم الغيب إلا الله.

وبجانب الخليج فى مصر قبر الشيخ ( )[1] الخلوتى وهو مدفون فى جامعه وله تكية ومشايخ ومريدين وعمارة، وتطل نوافذ الجامع على مياه الخليج الجارية وبفناء الجامع شجرة سدر وحديقة بها أشجار، وقد ذكرت أوصاف الجامع سابقًا.

وبداخل السوق السلطانى على مقربة من باب النصر يقع قبر عين الغزالى قُدّس سره، وبداخل قصر رئيس الحسبة بالقلعة العلوية يوجد قبر الشيخ عبد الله الأنصارى وهو من الصحابة الكرام وهو مدفون فى تكيته.

ثم ضريح الشيخ ( )[2] ويقع داخل زاوية وزير السلطان الظاهر بيبرس بقصر أغوات الباشا الوالى بالقلعة.

وعلى مقربة منه تقع تكية الشيخ عبد القادر الجيلانى ومدفون بها الشيخ محمد الأنصارى، والشيخ أحمد المفتى، والشيخ عبد الله اليمنى الزيلعى والثلاثة من الصحابة الكرام وبالتكية بعض أتباع الطريقة القادرية، ويهب والى مصر لهذه التكية مع أوقافها أوقتين من اللحم وعشر قطع خبز، كما يقدم الأغوات أيضًا النذور لهذا الضريح.

وبفناء جامع سليمان باشا الخادم المجاور لغرف الانكشارية بالقلعة الداخلية يقع قبر الصحابى سارية الجبل، وسارية من كبار الصحابة الكرام كان قد سار على رأس أربعين ألف جندى لولاية العجم فى خلافة عمر بن الخطاب، وقد انهزم سارية على يد العجم فى قلعة نهاوند، وبينما كان عمر بن الخطاب يخطب الجمعة فى المدينة المنورة رأى بعين الباطن أن القائد سارية انهزم فى بلاد العجم، فنادى وهو على المنبر يا سارية الجبل (ثلاث مرات) ثم أكمل الخطبة، فتبسم بعض الصحابة وتعجبوا مما فعل عمر لأنه ينادى

(١ ، ٢) بياض فى الأصل.

على سارية وبينهما مسيرة ثلاثة أشهر، أما بعضهم فقد ظن أن فى الأمر سراً لا يعلمه إلا الله، ومن حكمة الله سمع سارية ومن معه نداء عمر عندما نادى عليهم يوم الجمعة فانسحبوا ناحية الجبل وقد جدد جند الإسلام نشاطهم خلف هذا الجبل وقاتلوا العجم وانتصروا عليهم ثم جاءوا إلى المدينة المنورة سالمين غانمين وأخبروا أهل مكة والمدينة بالصوت الذى سمعوه يوم الجمعة فطابقوا بين التاريخين فتطابقا فازداد الناس حبًا لعمر، وكان سارية ضمن الصحابة المرافقين لعمرو بن العاص فى فتح مصر وتوفى بها.

وبتكية الشيخ سارية الجبل سبعين من الصحابة الأنصار مدفونين معه منهم الشيخ داود والشيخ قاسم والشيخ يحيى والشيخ إسماعيل والشيخ ( )[1].

وبجانب ضريح السيدة زليخة يقع ضريح أمنا آسيا امرأة فرعون وبالرغم من أنها كانت امرأة فرعون إلا أنها بأمر الله آمنت بموسى فقتلها فرعون وتوفيت بكراً، وبعض المفسرين يقولون بأنها ماتت بكراً لأنها ستتزوج سيدنا موسى فى الجنة، وقد بنى الملك طوطيس أحد ملوك القبط قبة على ضريحها وكتب عليه تاريخه باللغة القبطية، وأكثر زوار هذا الضريح من النساء.

وبالقرب من قبر يامن أخو يوسف فى سفح جبل الجوشى يوجد ضريح عبد الله بن طاهر وهو من أكراد مدينة نصيبين، كان وزيراً للخليفة المأمون عندما جاء من بغداد إلى مصر، عندما أراد الخليفة المأمون أن ينقب فى جبال الأهرام عام ٢٠٥هـ، لكى يستخرج الكنوز الموجودة بها، سقط حجر من الهرم الأكبر على عبد الرحمن بن طاهر فقتله ودفن بجوار ابن يامان. وقد بنى الخليفة المأمون قبة عظيمة على قبره والعديد من التكايا. وكتب على العتبة العليا للضريح: «أمير المؤمنين مأمون الزمان بن هارون الرشيد سنة ٢٠٥هـ».

---

(١) بياض فى الأصل.

وبقرية أبو صير الواقعة بالقرب من جبل الهرم الذى هدمه الخليفة المأمون يقع قبر الملك مروان الحمار[1] وهو أحد ملوك بنى أمية، وأنهم بفعل الأعمال غير الشرعية وقد تحارب على ضفاف نهر الفرات وقتل كل جنوده أما هو فقد فر هاربًا إلى الشام مقر حكمه، ولم يستطع الاستقرار بالشام ففر هاربًا إلى مصر وقد ظن أنه قد استقر فى مصر فى مأمن إلا أن أحد الجنود ويدعى عامر بن جرجابى قبض عليه وسلمه لعبد الله المازنى الذى قطع رأسه وعلقها على رأس طريق وقتل كل من كانوا معه وخرج موكب عظيم من مصر برأس مروان الحمار ومر الموكب برأسه من غزة والشام وحلب وعُرفة[2] حتى وصلوا إلى ملاطية وهناك سلموا رأس مروان الحمار إلى الملك الناصر على طاهر، وأقيمت الاحتفالات وذلك لأن الملك الناصر انتقم من خصمه وحمد الله على ذلك فقد انقطع نسل يزيد الأموى عند مروان الحمار وقد أرسل الرسائل لكل سلاطين الإسلام يذكرهم فيها أنه انتقم لدم الحسين، والآن يرقد نعش مروان الحمار فى قرية أبو صير تعلوه قبة منخفضة ويقوم بزيارته الذاهبون لمشاهدة الأهرام، وبعضهم يسبه ويقولون «مقام مذموم».

وبمصر القديمة يقع قبر الشيخ عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو من الصحابة الكرام رواة الحديث، دفن فى منزله بناء على وصيته أثناء فتح مصر.

وبالقرب من قبر الإمام الشافعى والإمام الليث يقع ضريح الشيخ جلال الدين السيوطى قُدّس سره العزيز، وقد ولد جلال الدين السيوطى فى مدينة مزينة هى مجمع

---

(١) هو مروان (الثانى) بن محمد بن مروان بن الحكم كان يكنى أبا عبد الملك، ولى أمور دولة بنى أمية سنة (١٢٧هـ)، وهو آخر ملوكهم، لقب بالحمار لا على سبيل السخرية أو الاستهزاء إنما على سبيل المجاز إشارة لقوة عضلاته وإعجابًا بصلابته، كما أن الحمار يمتاز بالصبر على الشدائد، وقوة الاحتمال.
انظر خبره فى: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى لسيد أمير على، ترجمة رياض رأفت ص١٤٥ وما بعدها ط. دار الآفاق العربية القاهرة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، والمعارف لابن قتيبة الدينورى بتحقيق ثروت عكاشة ط.٤ ـ دار المعارف ص٣٦٩، والجزء السادس والسابع من تاريخ الطبرى (فى مواضع متفرقة)، وغيرها.

(٢) هى: أورفه.

الفقهاء والمفسرين تسمى أسيوط تقع على شاطئ النيل فى صعيد مصر العالى، وللإمام السيوطى مؤلفات تبلغ ٧٠٠ مجلد، وهو عالم ومؤرخ ومؤلفاته مشهورة فى الآفاق، وضريحه الآن مزار للعام والخاص.

وعلى مقربة من جامع ابن طولون الواقع فى قلعة الكبش التى يطلقون عليها «جبل يشكر» يوجد ضريحان داخل جامع السلطان الجولى مدفون بهما السلطان الجولى وأقاربه، وفى قبتى الضريحين نوافذ تطل على بركة الفيل، والحوائط الداخلية لهاتين القبتين مغطاة بالمرمر المصقول، المموج، وقد كتب على عتبته العليا تاريخ بنائه والآية الكريمة: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧] وعلى أطراف الأضرحة المرمرية نقش بتاريخ «سنة ثلاثة وسبع مائة» على المرمر بخطوط قديمة.

وبالقرافة الكبرى يوجد قبر الشيخ سيد حسين الأخلاطى، وهو سلطان عظيم، وعندما خلت سجادته جاء ابن قاضى سماونة أحد علماء السلطان يلدريم با يزيد، من بلاد العجم إلى مصر، على زمن السلطان فرج بن برقوق، ليصبح خليفة للشيخ سيد حسين الأخلاطى بإذن من السلطان يلدريم با يزيد، وكان يتقاضى راتبًا يوميًا يقدر بثلاثمائة قطعة من العملة المصرية، وابن سماونة هو الشيخ بدر الدين بن محمد بن إسرائيل بن عبد العزيز، وقد ذاع صيته بن علماء ومشايخ مصر فى ذلك الوقت، فقد ألف كتاب جامع الفصولين وكتاب عقود الجواهر، وهما من الكتب المعتبرة القيمة بين العلماء والطلاب، وقد توفى ابن سماونة فى مصر ودفن فيها وقبره مستور بجوار ضريح أبى الليث بالقرافة الكبرى، وقبره الآن مزار للعام والخاص.

وبجواره قبر إبراهيم الكلشنى الصارجانى، وهو من شعراء السلطان محمد خان أبو الفتح، فقد توفى أثناء قدومه من الحج.

وبجوار قبر عمر بن الفارض يوجد ضريح المنلا عتيقى.

وعلى مقربة من سويقة السباعين يقع ضريح الشيخ حمودة، وهو مدفون فى قبة صغيرة.

وضريح الشيخ يوسف العجمى، وهو على مقربة من الجامع الأزهر.

وقبر الشيخ تاج الدين المتصل بسوق الغنم بالقرب من تكية السلطان دك كيز، والشيخ تاج الدين من المشايخ العظام وله آلاف الكرامات.

وعلى مقربة من منزل الشيخ البكرى يقع ضريح أولاد عنان قُدّس سرهم جميعًا، وفى ناحية قنطرة السبوع خارج الباب الجديد ضريح الشيخ أبو البشر ـ رحمة الله عليه ـ، وضريح الشيخ إبراهيم اللقانى، وهما أفضل علماء مصر وقد درسا لعدة سنوات فى الأزهر، وتوفيا فى مصر بعد العودة من الحج عام ١٠٠٣هـ والشيخ بدر الدين القرافى والشيخ صالح البلقينى من أقارب الشيخ إبراهيم اللقانى، وهما مدفونان معه، وهما من كبار مشايخ مصر وضريحهما مزار.

وعلى يمين تكية الإمام الشافعى نجد تكية ابن الشيخ محمد البكرى وهو من نسل أبو بكر الصديق، وقد انتقل هذا الشيخ إلى دار البقاء فى شهر صفر من عام ١٠٩٧هـ عندما كان ( )[1] باشا واليًا على مصر، ودفن بجوار أجداده العظام وقد حضر جنازته مئات الآلاف من البشر، وقد خلفه على سجادته الشيخ أبو المواهب من أولاد مهترى، وقد جدد كل المتصوفة البيعة له، ـ عمره الله ـ وأصبح ناظرًا على كل أوقاف الشيخ زين العابدين كوجك جلبى، وله تكية عظيمة حفظه الله. ويحتفل فى نصف شعبان بمولد أجداده العظام.

وبالقرب من تلك التكايا وبجوار الإمام الشافعى يوجد ضريح الغازى كرتباى، والغازى كرتباى هو أحد الجنود الشراكسة الشجعان الذى أقسم أن يقتل السلطان سليم خان أثناء قتاله مع السلطان طومان باى فى صحراء العادلية، وخاض بجواده بين جند آل عثمان الذين كانوا كموج البحر، فصادف سنان باشا الخادم الوزير الأعظم وكان فى ذلك اليوم وشاء الله أنه كان يرتدى نفس لباس السلطان سليم ويمتطى جوادًا مثل جواده، فضلاً عن أنه كان قريب الشبه بسليم، فقام كرتباى بقتله فاجتمع عليه الجند

(١) بياض فى الأصل.

وقتلوه. ونحمد الله أن كرتباى لم يقتل السلطان سليم، حقيقة كان كرتباى شجاعًا محاربًا رحمة الله عليه ويأتى كل شراكسة مصر لزيارة ضريحه.

وبالقرب من باب الحديد بوسط مصر يقع ضريح الشيخ إبراهيم الكلشنى وقد وصفنا تكيته، وتاريخ وفاته (مات قطب الزمان إبراهيم) سنة ٩٣٠هـ. درس علم التصوف والتوحيد على الشيخ أبى السعود فى زمن السلطان سليمان، ولما جاء مصر بنى تلك التكية بكل أمواله وهو مدفون بها، وقد أخذ الشيخ إبراهيم عن عمر الروشنى وأخذ عمر عن يحيى الشروانى، وهو سلطان عظيم وقطب الآفاق الذى ملك العلم اللدنى والعلوم الأخرى.

ودُفن بضريحه أيضًا ابن أحمد الخيالى المتوفى عام ٩٧٧هـ.

وبجانبه الشيخ ابن على الصفوتى المتوفى عام ١٠٠٥هـ.

وبجانبه ابن الشيخ حسن أفندى الذى توفى فى ١٠١٢هـ.

وقد خلفه فى الطريقة صهره محمد جلبى، المتوفى عام ١٠١٤هـ.

ويوجد أيضًا ضريح الشيخ القرمانى وهو من خلفاء الشيخ الكلشنى حينذاك وقبره ليس معلومًا.

بعده قبر الشيخ صاحب السجادة الشيخ محيى الدين الأدرنوى وقد بايع الشيخ على صفوتى فى مصر وصاهره، ودفن فى التكية الكلشنية، كان غارقًا فى العشق الإلهى، وكان أثناء التوحيد والذكر يردد أشعار العشق، فيشمل العاشقين.

ويقع قبر الشيخ البغدادى خارج مصر القديمة من ناحية الشرق، وهو وسط الرمال، ومغطى بقبة عالية، وبالقرب من كنيسة يطلقون عليها دير سنودة، كان المقوقس قد طلب من عمرو بن العاص حين فتحه لمصر ألا يهدمها، ويقولون لو دخل تلك الكنيسة أى كائن حى غير البشر والطيور يموت فى الحال، وإذا ما دخلها العربان الذين يعانون من الآلام برءوسهم يتخلصون من آلامهم، إنه دير عجيب مطلسم.

وعلى مسافة خمسمائة خطوة من هذا الدير على الطريق العام يقع قبر الشيخ حويدى ومؤلفاته لا تعد ولا تحصى، وله زاوية ومئذنة وقبتين. ويداوم أهل مصر على زيارته، وكراماته مذكورة فى كتاب طبقات الشعراوى قُدّس سره.

ثم قبر المولى على بن غانم المقدّسى بالقرافة الكبرى، وهو من فضلاء الدهر الواصلين إلى القطبية، فكان غواصًا فى بحر العلم اللدنى.

ثم قبر المولى بدر جلبى الواقع بجوار عمر بن الفارض وقد توفى وهو قاضٍ على مصر، وقبره مزار يزار.

ثم قبر المولى معروف أفندى وهو من طربزون، وهو مدفون مع علماء الروم بجوار عمر بن الفارض.

ثم قبر الشيخ الفاضل أمير التيره وى فى قرافة مصر الكبرى، وكانت وفاته فى عام ٩٨٧هـ، كان أمير التيره وى مصنفًا ومؤلفًا وخطاطًا، ترك ٤٢ مجلد بخط يده وتوقيعه وكلها موقعة بإمضائه، وهذه المؤلفات النفيسة موقوفة فى الجامع الأزهر وجامع المؤيد.

ثم قبر الشيخ سنان أفندى وهو من أكراد صوران العلماء، لم يقبل صدقة أو نذرًا أو طعامًا من أحد، قام بتعمير وترميم مسجد محلة الكردى فى مصر وعاش ودفن بها، وقد كان للشيخ الكردى مكانة بين مشايخ مصر، حيث كانوا يزورونه ويحتفلون بمولده مرة كل عام، ويجتمع بمولده أناس كثير.

ثم قبر المولى عبد الله أفندى بن محمود، توفى أثناء توليه قضاء مصر، ومدفنه بجوار الشيخ شاهين.

وبالقرب من جامع المرزبانية قبر الشيخ محمد بن محمد الشهير بـ «آلتى بارمق» افندى (أى الأصابع الستة) رحمة الله عليه، وهو إسكوبى ويعرف بـ «جقرقجى زاده» حتى إنه أثناء قدوم هذا العبد الحقير[1] من البوسنة مع ملك أحمد باشا مر بإسكوب ومكث يومان فى منزل آلتى بارمق افندى، وتحدثنا مع أقاربه وكانوا من أصحاب المعارف، ونحمد لله أن يسر لنا زيارتهم فى مصر أيضًا.

(١) يعنى المؤلف بالعبد الحقير نفسه، تواضعًا منه كعادة من يتكلم عن نفسه من أهل العلم والفضل.

وللشيخ محمد بن محمد مؤلفات كثيرة منها سيرة النبى ﷺ وهى سيرة ممدوحة بين السير، لقد كان شيخًا عزيزًا وبحرًا للمعانى وهـو النعمان الثانى ومدفنه أمام قبلة جامعه حيث توفى عام ١٠٣٣هـ، كان العزيز المذكور بحـرًا فى مختلف العلوم، عذب البيان، طلق اللسان.

ثـم ضريـح المولى ظهيـر الديـن الأردبيلى، الذى جـاء مـن تبريز إلى بلاد الروم فى عصر سليم الأول، وقـابله السلطان، ثم ذهب إلى مصر قـاصدًا حج بيت الله الحرام، وقد قُتل مع أحمد باشا الخائن فى مكان واحد، كان المولى ظهير الدين الأردبيلى له باعٌ فى العلوم وله مائة مجلد من المؤلفات، وهذه هى الدنيا يموت الإنسان ويبقى اسمه، إنه الموت الذى يتساوى فيه الجميع السيد والفقير ولم ينجو أحد منه وليس له دواء.

إن أضرحة ومـزارات الأولياء والعلـماء والصلحاء فـى القاهرة لا تعـد ولا تحصى، ولكننا حررنا هنا ما ذهبنا إليه فقط.

ثم قبر المولى حسين باشا زاده افندى وابنه صاحب الحظ السعيد «كوزلجة رستم باشا» وزير «بـودين»، توفى حـسين باشـا زاده وهو قاضٍ عـلى مصر، وقـبره بجـوار الإمام الشافعى، ومكتوب عـل العتبة العليا للضريح: «هذا مقـام حسين افندى فى دار السلام سنة ١٠٢٣هـ»، كان المذكور من أرباب العلم والمعـرفة محبوبًا من الجميع، وكان يجزل العطاء فى منزله.

ثم قبر المولى محمد أهلى افندى أخو عـبد الرحمن افندى طبيب زاده، كان صاحب فيض فى كـل العلوم تولى منـصب قضاء مصر، ومدفنـه فى ساحة جامع مسـيح باشا ويزوره الذاهبون إلى الإمام الشافعى، وثمة شخص آخر باسم أهلى جلبى ولكنه مدفون فى رودس.

ثم قبر المولى عبد الباقى الشهيـر بطورسون زاده افندى، توفى وهو قاضٍ عل مصر، وقبره فى القرافة الكبرى على الطريق، وعلى مشهد قبره تاريخ وفاته.

ثم قبر المولى مصطفى بن محمد بن سليمان، وفد من مكة إلى مصر بعد آلام كثيرة وهو مدفون بجوار الإمام أبو الليث، قُدّس سره العزيز.

ثم قبر الشيخ أبو بكر الكفوى الذي كان مصاحبًا للشيخ شاهين بمصر، حيث اتجه إلى طريق الحق، وهو مدفون بجوار الشيخ شاهين، كان شيخًا زاهدًا عابدًا متورعًا اشتهر بالكرامات.

ثم قبر مولانا الفاضل رضاى محمد جلبى، مخدوم المرحوم بيرى افندى قاضى قونيه دار الملك، وتاريخ ميلاد رضاى جلبى ١٠٠١هـ هو لفظ (رضا) لذا تخلص برضاى، تولى قضاء مصر ثم توفى، ورضاى جلبى حسيب نسيب، وأديب كامل ومؤلف ومصنف وشاعر وماهر له نصيب من كل الفنون، حافظ لقاموس النجوم والكواكب، كما كان متصوفًا خلوتًا، ومدفنه فى ساحة مشهد الإمام الحسين وقبره من الحجر. ويقوم الروم بزيارته وهم يقولون عنه إنه قبر فاضل.

ثم قبر مولانا جمالى زاده وهو من علماء الروم كان خادمًا لشيخ الإسلام على جمالى، كما كان صاحب السجادة فى الأناضول ومصر والعديد من الأماكن الأخرى، وتولى متصرفية الشرقية والغربية بمصر، ولكنه استقر فى القاهرة مصداقًا لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥] وهو مدفون بجوار الإمام أبو الليث، رحمة الله عليه سنة ٩٦٨هـ.

* * *

فى بيان كرامات المرحوم والمغفور له
السلطان أعلم العلماء وأفضل الفضلاء
شيخ الشيوخ الشيخ على الشمرلسى

عندما دخل الحقير صاحب التقصير قليل البضاعة مصر فى عام ١٠٨٣هـ شرع فى زيارة الأولياء والأنبياء واجتهد فى مقابلة العلماء والمشايخ الكبار وقد تشرفت بمقابلة الشيخ الشمرلسى فى الجامع الأزهر تبركًا وتيمنًا به، فقبلت يده وكان لى نصيب من دعواته لى بالخير، وبدأت فى قراءة كتابه (قوهستان)، كان الشيخ الشمرلسى أعمى منذ ولادته، ولكن الفصاحة والبلاغة وطلاقة اللسان التى يمتلكها لم تكن حتى عند أفصح الشعراء محمد البوصيرى، وقد خدم الحقير الشيخ، حيث تتلمذت على يديه ثلاث سنوات، ولحكمة الخالق لزم الشيخ الشمرلسى الفراش فى السنة التى كان فيها عبد الرحمن باشا واليًا على مصر، ظل الشيخ لمدة شهرين طريح الفراش وكان كل تلاميذه يذهبون إلى بيته فى تلك الفترة، الكل يقبل يديه ويبدأ فى قراءة الدرس عليه، وسبحان الله كانت الدروس حينئذ أكثر من الأوقات الأخرى، فقد كانت كل أعضاء الشيخ نحيفة ضعيفة وكأنه قد وهبها كلها فى سبيل العلم، وكانت له قوة قدسية فكان يرى بمنظار قلبه، وكان الشيخ موصوفًا بالذكاء الحاد والفراسة والفطنة التى لا حد لها، من يراه لا يقول أنه ولد أعمى، حتى أن صهره القاضى منصور الذى كان متزوجًا بابنة الشيخ، وهى سيدة حافظة مثل رابعة العدوية، نقل إلى الحاضرين بالمجلس ما سمعه من زوجته بنة الشيخ الشمرلسى أنها كانت تسمع والدها فى الليالى المباركة وهو يقرأ العلم فى حضور النبى ﷺ ويقول بلسان فصيح صريح: نعم يا رسول الله ويقول صحيح يا شفيع المذنبين، وفى أحد الأيام وبعد انتهاء الدرس كنا فى حضور الشيخ، فقال فى أى يوم سيخرج حجاج المسلمين إلى بركة الحج.

فأجاب صهره: لقد صدر الفرمان بخروجهم إلى البركة يوم الخميس الموافق ١٨ شوّال المعظم.

فقال الشيخ: يا قاضى منصور كم يومًا بقى على ذلك اليوم؟

فأجاب الشيخ: ( )[1] خطيب جامع القيسونية: بقى يومان فقط يا سلطاننا.

فنهض الشيخ من الفراش بعد أن كان طريحه لمدة شهرين ووقف على قدميه وأخذ يتحرك ويدور بلطف فى البيت مثل طاووس حدائق الجنة، وكأنه فى سماع خانه جلال الدين الرومى[2]، فتحير كل الحاضرين من ذلك، وتحيرت أنا أيضًا لما شاهدت، وقد تصبب الشيخ عرقًا بعد السماع، وقال لنا: أيها الأبناء لقد عادت لى الحياة وشفيت لأنكم بشرتمونى بخبر خروج الحجاج إلى البركة، وبذلك وجدت الدنيا والآخرة، ودعا لنا جميعًا بأن يغفر الله لنا وأن يمنحنا طول العمر، وابتهج بعض الحاضرين من ذلك قائلين الحمد لله لقد شفى الشيخ، وبعضهم انخرط فى البكاء، إلا أن الشيخ تحدث إلينا مرة أخرى وقال: أيها الأبناء لى رجاء عندكم؛ فى اليوم الذى سيخرج فيه أول موكب للحجاج أخرجونى ولا تحرمونى من رؤية موكب الحجاج فهذه الأيام هى أيام الحج الأكبر، ضعونى فى صندوق يحمله أربع حيوانات ثم سيروا بى من الجامع الأزهر

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) هو جلال الدين الرومى المولود فى بلخ عام ١٢٠٧م. كان أبوه بهاء الدين ولد من العلماء الأجلاء، صحبه جلال الدين فى رحلة الحج، وأثناء عودته مرّ بدمشق، واستقر به المقام فى قونيه وبها توفى أبوه عام ١٢٢٣م.

وقد أخذ جلال الدين الرومى التصوف عن الشيخ شمس التبريزى، وأسس طبقته الصوفية المعروفة بالمولوية، وقد بين طبقته هذه فى كتاب منظوم له بالفارسية يسمى (المثنوى). وتحلق حوله المريدون وانتشرت طريقته فى الأناضول، وكان دراويش المولوية موضع توقير رجال الدولة العثمانية حتى جرت العادة بأن يتولى رئيسهم تتويج السلطان العثمانى فى مسجد با يزيد.

وكان من عادة المولوية أنهم بعد صلاة الجمعة يقابلون شيخهم ويجتمعون فيما يعرف بـ «سماع خانه» أى: بيت السماع فيمارسون أذكارهم على أنغام المعازف وهم يرقصون بكيفية خاصة بهم وفى رأيهم أن السماع وما يصحبه من رقص إنما يرقق القلوب، ويسمو بالنفوس، ويثير الخوف عند التائبين، ويلهب قلوب المشتاقين.

انظر: معجم الدولة العثمانية: للدكتور حسين مجيب المصرى ص ١٤٢ ـ ١٤٣ (بتصرف) ط. أولى: الدار الثقافية، القاهرة ٢٠٠٤.

وليكن معكم تلاميذى الأحباء وكل العاشقين المشتاقين من المجاورين وطلاب رواق العراق وضعونى بالقرب من قرافة المجاورين فإنها طريق الأهالى وكل المسلمين المدفونين بها، وبهذا أشاهد موكب الحجاج كل عام وليكن ترابهم غباراً لى، وهذه هى وصيتى لكم لا تحرمونى من موكب الحجاج، فقال كل التلاميذ على الرأس والعين يا سلطاننا، وقد فرح كل الصادقين من كلام الشيخ، ثم قال الشيخ مرة أخرى أيها الأبناء لتخبروا على بك من أمراء مصر والشيخ المتبولى خادم ضريح إبراهيم العراقى بأن يكونوا معى أثناء مشاهدة الموكب، وذهب أحد التلاميذ إلى الاثنين ورجع إلى الشيخ الشمرلسى وقال له إن الاثنين مرضى وفى النزع الأخير، ويقولون أنهما لن يستطيعا الحضور لمشاهدة الموكب، فرد الشيخ قائلاً سيبرأون ويعافون بعد يومين بمشيئة الله وسيأتون معنا لمشاهدة الموكب، ولى رجاء آخر عندكم يا أبنائى أن تقرأوا ختمة شريفة أربعين مرة فى الجامع الأزهر وتهبوا ثوابها للمرحوم عبد الفتاح، وأن تقوموا بطبخ الحلوى يوم الجمعة وتقدموها للفقراء، فقد كان الشيخ عبد الفتاح من أقارب أستاذنا الشيخ الشعراوى وقد استولى على نظارة ميراث السيدة زهرة ابنة الشيخ الشعراوى فدعوت عليه، فقطع أربًا أمام باب العزب فى واقعة خلع الدفتردار أحمد باشا.

ثم جلس الشيخ على الفراش واتكأ على الوسادة، وبدأ تلاميذه يتحدثون عن هذا الشأن، وقد ظهرت له كرامة، ولحكمة الله فاضت روح الشيخ إلى بارئها فى نفس الوقت الذى تأهب فيه كل جنود مصر للخروج لموكب الحج فى اليوم الثامن عشر من شهر شوال، فصلوا عليه فى الجامع الأزهر كما صلى عليه جميع مشايخ مصر فى الجوامع، وبهذا تحققت وصية الشيخ فقد صلى عليه مئات الآلاف من الجنود ومثلهم من العوام والخواص والفقراء وكانت الجنازة تموج كالبحر، وقد حُمل النعش فى صندوق على أربعة حيوانات كما أوصى بذلك وقام مئات الآلاف من العلماء بالذكر والتوحيد، وحُمل الشيخ مع موكل الحجاج إلى قرافة المجاورين، وهناك انتهت رحلته واستقر بدار

لسقرار، وروحه فى أعلى عـليين فقد انتقل من دار لسفناء إلسى دار لسبـقاء رحمة الله عليه تاريخ ( )[1] لسفاتحة سروحـه، ولحكمة الله توفى خُلٌّ من لسشيـخ المدبوسى خادم ضريح إبراهيم لسعراقى وعلى بك تحقيقًا سكرامة لسشيخ لسشمرسسى.

وفى محـلة ( )[2] علـى باب لسلـوق يقـع ضريح لسـشيخ إسـماعـيل لسصنافيرى وهو من لمتصوفة لسكرام، سم يـكن متكلفًا، بل خان عارى لسرأس، لا يتكلم مع أحد وسكنه عندما يـرى لمحبين إسيه يتحدث معهم ببعض لسكلـمات مبتسمًا، خانت خل خلمة من خلامه رمزًا، وقام لسقاضى جلال لسدين بـبناء زاوية وقبر سلشيخ لسصنافيرى فى حياته وفى عام ١٠٨٩هـ عندما خان عبد لسرحـمن باشا ولسيًا على مصر أشار لسشيخ لسصنافيرى بـبعض لسكلمات لسرمزية قـائلاً: سنموت فى هذا لسشهر»، وقـد خانت تلك لسعبارة إشارة ستاريخ غزوة آل عثمان على موسكو، ولسقبر الآن مزار يزار.

* * *

(١) موضع سطر خالٍ.

(٢) بياض فى الأصل.

obeikandl.com